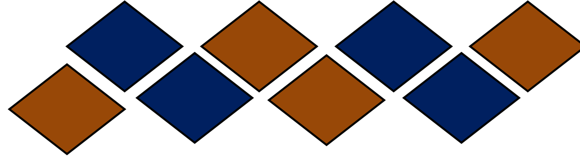


مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

صاحب السيارة فى مصر زمن الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م): دراسة تاريخية بنائية

د/ أحمد سعيد السيد رزق

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب- جامعة بنها

DOI: 10.21608/qarts.2025.394613.2247

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٤) العدد (٦٨) يوليو ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

صاحب السيارة فى مصر زمن الفاطميين(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) : دراسة تاريخية بنائية

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وظيفة "صاحب السيارة" في مصر خلال العصر الفاطمي من منظور بنائي، اعتماداً على ما ورد بشأنها من شذرات في المصادر والوثائق التاريخية. ويبدأ البحث باستقصاء الجذور اللغوية والتاريخية لهذا المسمى الوظيفي، مع اختبار مدى صحة الفرضية القائلة بوجوده في الدواوين الإسلامية قبل العهد الفاطمي.

كما يتناول البحث طبيعة المهام والصلاحيات التي كانت ترتبط بهذه الرتبة العسكرية الهامة، مع تحليل العوامل التي ساهمت في ظهورها ضمن البنية الإدارية للدولة الفاطمية، ويستعرض الأدلة التاريخية التي تشير إلى إرهاصات مبكرة لهذه الوظيفة في العصر الطولوني، رغم اختلاف المسمى، ثم يتتبع مراحل تطورها واستمرار وظائفها الجوهرية في العصور الأيوبية والمملوكية تحت تسميات مختلفة.

ومن خلال تحليل نصوص الوثائق والمصادر التاريخية، يعرض البحث التقسيمات الإدارية الخاصة بهذه الوظيفة، ويُفسر محدودية انتشارها الجغرافي في مدن وقرى دلتا النيل، المعروف آنذاك بـ"أسفل الأرض". وقد انتهت الدراسة إلى أن هذه الوظيفة شغلت مكانة عسكرية مرموقة في العصر الفاطمي، حيث احتلت المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد منصبي قائد الجيش والوزير.

وقد أثبت البحث استمرار المهام الرئيسة لهذه الوظيفة حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية، وإن كان ذلك تحت مسميات جديدة، وهو ما أكده المقريزي في إشاراته إلى بقاء الوظيفة وأدوارها في زمنه. وتبرز هذه النتائج مدى عمق التنظيم الإداري والعسكري للدولة الفاطمية، واستمرار تأثير مؤسساتها في العصور اللاحقة رغم تغير الأنظمة السياسية.

الكلمات المفتاحية: صاحب السيارة، الدولة الفاطمية، نظم، مصر، الدلتا، أسفل الأرض.

المقـدمة.

لقد شكّلت الدولة الفاطمية نموذجًا فريدًا في التنظيم الإداري والحكومي في العالم الإسلامي بشكل عام، وفى مصر بشكل خاص، حيث تميز جهازها الإداري بتشكيلات مبتكرة ووظائف غير مسبوقة تعكس طبيعة هذه الدولة وخصوصيتها. وهو ما ترك أثره فيما حظيت به النظم الإدارية الفاطمية من اهتمام كبير من قبل الباحثين على مر العصور، حيث تناولت العديد من الدراسات العربية والأجنبية تحليل تراكيب هذه النظم ومكوناتها وتطورها عبر مرحلتي الدولة الفاطمية المغاربية والمصرية، ومع هذا الاهتمام الواسع، يلاحظ غياب شبه تام للدراسات المتخصصة التي تتناول وظيفة ***"صاحب السيارة"*** بشكل مستفيض، حيث اقتصرت الإشارات إليها في الدراسات السابقة على مجرد إلماحات عابرة دون تعمق أو تحليل.

يعود هذا الإغفال البحثي إلى عدة أسباب رئيسية، أولها ندرة المادة المصدرية المتعلقة بهذه الوظيفة، وثانيها التشابك الوظيفي بين مهامها واختصاصات الوظائف الأخرى في الجهاز الإداري الفاطمي، بالإضافة إلى الغموض الذي يكتنف الأصول التاريخية لهذه الوظيفة وغرابة مسمّاها الذي يثير العديد من التساؤلات. وبناءً عليه، فإن أهمية دراسة هذه الوظيفة يتمثل في كونها تمثل نموذجًا حيًا للتفاعل بين الأصالة والابتكار في النظم الإدارية الإسلامية عامة، والنظم الفاطمية بصفة خاصة، فمن جهة، قد تعكس استمرارية لتقاليد إدارية سابقة، ومن جهة أخرى قد تمثل استجابة لمتطلبات جديدة فرضتها ظروف الحكم الفاطمي في مصر، والتأثيرات المغربية للطور الأول للدولة، وهذا التناقض الظاهر بين الأصالة والحداثة هو ما يجعل البحث في هذه الوظيفة من الأهمية بمكان.

في هذا السياق، تسعى هذه الورقة البحثية إلى سد هذه الفجوة المعرفية من خلال التركيز على جوانب هذه الوظيفة المهمة، معتمدة في ذلك على الشذرات التاريخية المتناثرة في المصادر المعاصرة، وكذلك الروايات المنقولة عن المصادر الفاطمية التي لم تصل إلينا، مع محاولة بناء تصور منهجي يعتمد على التحليل النقدي للنصوص المصدرية والوثائق المتاحة.

هذا وتتعدد الإشكاليات البحثية التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، بدءاً من البحث في الأصول اللغوية الغريبة لمسمى هذه الوظيفة، مروراً بتحليل الفئات الاجتماعية التي كان يتم اختيار شاغلي هذه الوظيفة منهم، وطبيعة المهام المنوطة بهم، وانتهاءً بدراسة التقسيمات الجغرافية لاختصاصاتها. كما تبحث الدراسة في جذور هذه الوظيفة التاريخية، سواء في الحقبة المغاربية للدولة الفاطمية أو في النظم الإدارية المصرية السابقة على العصر الفاطمي، ومحاولة أخرى لاستكشاف مصير هذه الوظيفة بعد سقوط الدولة الفاطمية ومدى استمرار مهامها في العصرين الأيوبي والمملوكي.

من الناحية التاريخية، تقدم هذه الوظيفة نموذجًا لآليات التكيف الإداري التي اتبعها الفاطميون لضبط شؤون ولايتهم الجديدة في مصر، فقد واجهوا تحديًا مزدوجًا: الحفاظ على استمرارية الجهاز الإداري القائم من ناحية، وإدخال التعديلات التي تتناسب مع رؤيتهم السياسية والعقائدية من ناحية أخرى، وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى وظيفة "صاحب السيارة" باعتبارها حلًا إداريًا وسيطًا بين الموروث الإداري المصري والرؤية الفاطمية الجديدة.

على المستوى الاجتماعي، تكشف دراسة هذه الوظيفة عن ديناميكية العلاقة بين الحكام والمحكومين في العصر الفاطمي، فمن خلال تحليل خلفيات شاغلي هذا المنصب

ومهامهم وعلاقاتهم بالسلطة المركزية، يمكن فهم آليات إدارة الريف المصري وتوزيع السلطات بين المركز والأطراف، كما تسهم في الكشف عن طبيعة التوازنات الاجتماعية التي سعى الفاطميون إلى تحقيقها بين مختلف مكونات المجتمع المصري.

من الناحية الجغرافية، تشير الدلائل إلى أن هذه الوظيفة ارتبطت بشكل وثيق بمناطق ريف الدلتا، تلك المناطق التي كثرت اضطراباتها منذ الفتح الإسلامي، مما يفتح الباب أمام دراسة الخصوصيات الإقليمية للإدارة الفاطمية، فقد تكون هذه الوظيفة قد نشأت استجابة لاحتياجات خاصة بمناطق الدلتا، سواء من حيث طبيعة الأرض أو أنماط الاستقرار السكاني أو التحديات الأمنية الخاصة بهذه المنطقة.

وقد بُني البحث على خمسة محاور رئيسة:

- المحور الأول: ويتناول دراسة الأصول اللغوية لمسمى "صاحب السيارة"، وتتبع دلالاته في السياق الإسلامي منذ صدر الإسلام وحتى العصر الفاطمي.
- المحور الثاني: ويتناول طبيعة ذكر هذه الوظيفة فى المصادر، وتراتبية هذا الذكر، ودلالاته، ثم المهام الوظيفية وصلاحيات شاغلي هذه الوظيفة كما تعكسها الإشارات الواردة في المصادر.
- المحور الثالث: ويحاول تتبع جذور الوظيفة في الفترات السابقة للفاطميين، واستجلاء ما إن كانت هناك وظائف مشابهة لها في النظم الإدارية الإسلامية فى مصر ما قبل العصر الفاطمي من ناحية المهام الوظيفة أو في التسمية.
- المحور الرابع: ويتناول تحليل الفئات الاجتماعية التي كان يُختار منها متولو هذه الوظيفة، وتسمياتهم الرسمية، مع محاولة إعادة تركيب جغرافي لمجالات نشاطهم بناءً على الوثائق.

- المحور الخامس: ويتتبع تطورات الوظيفة بعد العصر الفاطمي، خاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي، مع الاستناد إلى إشارة المقريزي حول بقاء الوظيفة تحت مسميات مختلفة.

كما يسعى الباحث من خلال توظيف الإطار النظري لما يُعرف بـ"التاريخ من أسفل" إلى إضفاء بعد منهجي على الدراسة، يتمثل في إعادة بناء ملامح وظيفة إدارية فاطمية غامضة، بالاعتماد على مصادر متفرقة وشذرات تاريخية متناثرة، أهمها المراسلات الشخصية والشكاوي الحكومية العائدة لتلك الحقبة، والتي أغلبها محفوظ فى قصصات من مجموعات أوراق الجنيزا، والحقيقة أن هذا المسعى قد شكّل تحديًا منهجيًا حقيقيًا، استدعى الجمع بين ما ورد في النصوص المصدرية وما كشفت عنه وثائق الجنيزا، ثم تحليل هذه المادة بتحرٍ دقيق لقراءة الدلالات الضمنية والربط بينها، وقد حاول الباحث فى هذا المنحى أيضاً، الربط بين التداخل التحليل اللغوي وفهم السياق التاريخي والاستنباط المنطقي، بوصفها أدوات منهجية قادرة على كشف ما غاب عن التدوين التاريخي المباشر بالمصادر الأدبية.

وقد اختُتمت الدراسة بعرض لأبرز النتائج التي توصّل إليها الباحث، أعقبها قسم الملاحق الذي اشتمل على مجموعة من الوثائق ذات الصلة بموضوع البحث، وتلى ذلك قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استند إليها الباحث في بناء هذه الدراسة.

والله من قبل هذا كله، وهو من وراء القصد.

الباحث

أولاً: الجذور اللغوية للوظيفة.

أ- "السيارة" في اللغة.

تُشتق كلمة "سيارة" في المعاجم والقواميس العربية، القديمة منها والحديثة، من الجذر اللغوي "سَارَ"(١)، الذي يدل على الحركة والتنقل والتجول بهدف معين أو مقصد محدد (٢)، يُفهم من هذا الاشتقاق أن المعنى الأساس يرتبط بالحركة الخارجية، أي تفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة به، بخلاف الجذر "صار/يصير" الذي يُعبّر عن التغير الداخلي أو التحول الذاتي.

وبالتالي، فإن مدلول "السير" في هذا السياق يتصل بالفعل المرتبط بتغيير في المجال الخارجي، لا الداخلي (٣)، ويظهر هذا المعنى جليًا في مصطلحات علم المساحات في التراث العربي الوسيط، مثل مصطلح "مسيرة يوم" (٤) الذي يُقصد به المسافة التي

---

(١) ويجدر التنبيه هنا إلى أن "سَارَ" بمعنى التحرك والتنقل تختلف دلاليًا وجذريًا عن الفعل "سَرَّ" (بتشديد الراء)، الذي يُشتق منه "السرور"، ويعني الفرح والانبساط، وهو جذر مغاير لا علاقة له بالحركة أو التنقل. للمزيد انظر: الفراهيدي(ت ١٧٠هـ/٧٨٦م): ***كتاب العين***، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، جـ٧، ص٢٩١.

(٢) الجوهري(ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م): ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م، جـ٢، ص٦٩١.

(٣) ابن فارس(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م):***مجمل اللغة***، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، جـ١، ص٤٨٠.

(٤) **مسيرة اليوم:** تباينت آراء العلماء والباحثين في تقدير المسافة التي تشير إليها عبارة "مسيرة اليوم"، إلا أن الرأي الأرجح يرى أنها تعادل مسافة مرحلة واحدة، في حين أن "مسيرة اليوم والليلة" تقابل مرحلتين. وبالرجوع إلى المقاييس المعتمدة في =التراث الجغرافي الإسلامي، فإن المرحلة تُعادل أربعة فراسخ، والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، أي ما مجموعه ١٢ ميلًا. ووفقًا للمقاييس الحديثة، فإن الميل

يمكن قطعها في يوم واحد سيرًا، وهو اشتقاق مباشر من الجذر "سار". ويُضاف إلى ذلك عدد من الاشتقاقات الأخرى، التي ترتبط جميعها بالسفر والطرقات وقطع المسافات، بما يعكس الطابع الحركي المميز لهذا الجذر(١).

هذا، واسم الفاعل من الفعل "سار" هو "سَائِر"، ويُؤنث إلى "سَائِرَة"، أما صيغة المبالغة فهي "سَيَّار"، ويقابلها في التأنيث "سَيَّارَة (٢)، وتُعد لفظة "سَيَّارَة" من الألفاظ ذات الدلالة المركّبة في اللغة العربية؛ إذ لا تقتصر على معنى كثرة السير فحسب، بل تتضمن أيضًا إيحاءً بالاستمرارية والتقطع في آنٍ معًا، أي أن السير يكون على مسافات طويلة تتخللها فترات راحة أو تغير في الاتجاه(٣)، ومن هذا المعنى المركّب نشأت الدلالة الجمعية للكلمة، حيث تطلق "السيارة" في الأصل على القافلة أو الجماعة التي تسير معًا نحو غاية محددة، سواء كان ذلك لأغراض التجارة، أو الحج، أو الغزو، وهو ما يعكس

الشرعي يُقدَّر بنحو ٣.٨٩ كم، مما يجعل مسيرة اليوم تقارب ٤٧ كيلومترًا، في حين تُقدَّر مسيرة اليوم والليلة بنحو ٩٤ كيلومترًا تقريبًا. للمزيد انظر: الاصطخري(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): ***المسالك والممالك***، دار صادر (عن نشرة ليدن)، د.ط، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٧.؛ محمود فاخوري وصلاح الدين خوام: ***موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية***، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٥٦.

(١) ابن فارس (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م): ***مقاييس اللغة***، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، القاهرة، ١٩٧٩م، جـ٣، ص١٢٠.؛ ابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م): ***المحكم والمحيط الأعظم***، تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، جـ٨، ص٥٧٣.؛ ***المخصص***، تحقيق خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، (١٤١٧هـ ١٩٩٦م)، جـ٣، ص٣٠٤ وما بعدها.

(٢) ابن فارس: مقاييس اللغة، جـ٣، ص١٢٠.؛ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ٨، ص٥٧٣.؛ المخصص، جـ٣، ص٣٠٤ وما بعدها.

(٣) ابن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م): ***سر صناعة الأعراب***، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، جـ١، ص٢٧.؛ إبراهيم محمد أبو سكين: دراسات لغوية فى أمهات كتب اللغة (تأنيث المذكر)، نشرة خاصة بالمؤلف، دون مكان للنشر، د.ت ، ص١٧٤.

التحول الدلالي من المفرد إلى الجمع بوصفه نتيجة لطبيعة السير المنظَّم الطويل ذي الأهداف المشتركة(١).

ويُعزّز اشتقاق لفظ "سيارة" من صيغة المبالغة "سَيَّار" هذا المعنى المركّب؛ إذ إن صيغ المبالغة في العربية لا تُعبّر عن الكثرة فقط، بل تحمل أيضًا دلالة على رسوخ الصفة وثباتها في الموصوف، أي التمكن منها واستمراريتها. ومن هذا المنطلق جاء تأنيث "سَيَّار" إلى "سيارة" للدلالة على الجماعة(٢)، وهي دلالة معروفة في الاستعمال العربي، حيث يُؤنث المفرد أحيانًا بقصد الإشارة إلى الجماعة، تفخيمًا أو تعظيمًا، كما في ألفاظ مثل "الثلة" و "الفئة" (٣).

وجدير بالذكر أن العرب فيما قبل الإسلام(٤) ، كانوا يعتمدون على أيام السير كوحدات معيارية لتقدير المسافات، فكانوا يستخدمون تعبيرات مثل "مسيرة يوم" (٥) و"مسيرة يوم وليلة" (٦) كقياسات معتمدة لديهم. ويعكس هذا الاستخدام الارتباط الوثيق بين مفهوم

---

(١) ابن جني: سر صناعة الأعراب، ، جـ١، ص٢٧.؛ إبراهيم محمد أبو سكين: دراسات لغوية فى أمهات كتب اللغة (تأنيث المذكر)، ص١٧٤.

(٢) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ١، ص٤١٤؛ جـ٨، ص٥٧٢.؛ معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة، ١٤٠٩/١٩٨٨م، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.؛ إبراهيم محمد أبو سكين: دراسات لغوية فى أمهات كتب اللغة (تأنيث المذكر)، ، ص١٧٤.

(٣) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ١، ص٤١٤؛ جـ٨، ص٥٧٢.؛ معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة، ١٤٠٩/١٩٨٨م، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

(٤)جواد علي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، بيروت، جـ١٤، ص١٦.

(٥) ابن هشام، (ت ٢١٣هـ): التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، صنعاء، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨ م، ص١٤٩.؛ جواد: المفصل، ج١٤، ص١٦.

(٦)الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠م): اختلاف الحديث. تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. ؛ البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م). صحيح البخاري.

"السير" وفهم المسافة والزمن في الثقافة العربية الكلاسيكية، حيث مثّل السير وحدة عملية لحساب الامتداد الجغرافي وفق قدرة الإنسان أو القافلة على التنقل في زمن محدد[١].

ويؤكد هذا المعنى أيضًا ما ورد في نصوص القرآن الكريم [٢]، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ (سورة يوسف: الآية 19)، فمع أن لفظة "سيارة" هنا جاءت في صيغة المفرد، إلا أنها تحمل دلالة الجمع أو الجماعة. كما يظهر استخدام لفظ "السيارة" بصيغة المفرد المذكر [٣]، وذلك كما ورد في قوله جل وعلا: ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ (يوسف: الآية 10)، مما يعكس التنوّع في استعمال الكلمة بين دلالة المفرد والجمع حسب السياق القرآني [٤].

لعل في اختيار صيغة المبالغة "سَيَّارَة" بدلاً من "سَائِرَة" يعكس دلالة على حركة متكررة ونشطة، تشبه في نمطها حركة القوافل التجارية المنتظمة بين الأمصار، وفي هذا الصدد، قد أشار علماء اللغة إلى أن لفظ "السيارة" يجمع بين دلالتين متكاملتين: الأولى

تحقيق: مصطفى ديب البغا. دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ط٥، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، جـ١، ص٣٦٩، حديث رقم(١٠٣٨).

(١) ابن هشام: التيجان، ص١٤٩.؛ محمود فاخوري وصلاح الدين خوام: موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ، ص ١٥٥–١٥٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت٥٠٢هـ/١١٠٩م): المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم/ الدار الشامية، ط١، (دمشق بيروت)، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٤٣٢.

(٣) الراغب الأصفهاني: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.؛ ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م): ***لسان العرب***، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ٤، ص٣٨٩.

(٤) الراغب الأصفهاني: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٨٩.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

دلالة المبالغة في السير، من خلال اشتقاقه من "سَيَّار"، والثانية دلالة الجماعة، التي يُفهمها من تأنيث الصيغة، على نحو ما اعتادته العربية في التعبير عن الجمع المؤنث للدلالة على الجماعات. [١].

هذا عن صفة السيارة وجذورها اللغوية؛ أما عن دلالات لفظة "السيارة" ومعانيها[٢]، تعددت دلالات لفظة "السيارة" وتشعبت بحسب السياقات التاريخية والجغرافية. فقد وردت في المصادر بمعنى "القافلة التجارية العظيمة" [٣]، الذي يُعدّ أبرز معانيها، حيث ارتبط المفهوم أساسًا بحركة التنقل لأغراض التجارة. كما اتسع الاستخدام ليشمل "طائفة الباعة المتجولين"، وفقًا لما أشار إليه رينهارت دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية [٤]. مبينًا أن توظيف اللفظ بهذا المعنى كان أكثر شيوعًا في المجتمعات العربية المتأخرة، ولا سيما في الأندلس ، وبين سكان الأحياء الطرفية (الربض) على وجه الخصوص [٥].

---

(١) الراغب الأصفهانى: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٨٩.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

(٢) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ١، ص٤١٤؛ جـ٨، ص٥٧٢.؛ معجم ألفاظ القرآن، ، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.؛ إبراهيم محمد أبو سكين: دراسات لغوية فى أمهات كتب اللغة (تأنيث المذكر)، ، ص١٧٤.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، جـ٣، ص١٢٠.؛ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ٨، ص٥٧٣.؛ المخصص، جـ٣، ص٣٠٤ وما بعدها.

(٤) ر.ب. دُوزِي: ***تكملة المعاجم العربية***، ترجمة محمد سليم، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، الجمهورية العراقية، ترجم فى الفترة الممتدة من ١٩٧٩-٢٠٠٠م، جـ٦، ص٢٠٦/٢٠٧.

(٥) نفسه، جـ٦، ص٢٠٦/٢٠٧.

كذلك ارتبط مصطلح "السيارة" في بعض كتب التراث الإسلامي بحركة الكواكب التي تدور حول الأرض [١]، حيث أُطلق عليها وصف "الكواكب السيارة"، إشارةً إلى حركتها المستمرة وعدم سكونها[٢]، وبدءًا من القرن السادس الهجري، اكتسبت الكلمة دلالة جديدة في بعض السياقات الدينية، إذ أصبحت تشير إلى الرحلات التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات لزيارة المشاهد المقدسة والمساجد ومدافن الأولياء، باستثناء الحج والعمرة.

وتُعدّ عناوين المؤلفات التي تناولت موضوعات زيارة القبور وأضرحة الصالحين دليلاً واضحًا على هذا الاستخدام الاصطلاحي [٣]، ومع ذلك، يبرز هنا تساؤل مهم: هل كان هذا المعنى، أي دلالة "السيارة" على الجماعات التي اعتادت زيارة قبور الأولياء[٤]، مقتصرًا على المتصوفة والمريدين وحدهم؟ أم أنه شمل فئات اجتماعية أخرى؟ فالحقيقة أن هذا التساؤل يفتح أفقًا بحثيًا يحتاج إلى مزيد من التعمق والدراسة المتخصصة في هذا المجال.

ومجمل القول، إن لفظ "سيّارة" هو اسم مؤنث مشتق من صيغة المبالغة "سيّار"، وقد تطوّر استخدامه عبر العصور. ففي العصر الحديث، أصبح يُطلق على المركبات الآلية التي تعمل بالطاقة الميكانيكية، وذلك بعد إقرار مجمع اللغة العربية في مصر

---

(١) الأحمد نكري (ت ١٢هـ): ***دستور العلماء المعروف بـ "جامع العلوم في اصطلاحات الفنون"***، ترجمه من الفارسية حسن هاني فحص، در الكتب العلمية، ط١، بيروت، جـ٢، ص١٣٩٠؛ جـ٣، ص١٠٧.

(٢) دُوزِي: تكملة المعاجم العربية، جـ٦، ص٢٠٦/٢٠٧.

(٣) ابن الزيات (ت٨١٤هـ): ***الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة***، تحقيق أحمد جمعة، نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٢٤م، المقدمة.

(٤) ابن الزيات: الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة، ، ٢٠٢٤م، المقدمة.

باستخدام صيغة "فعّالة" [١]، للدلالة على الآلة، رغم أن الوزن القياسي لأسماء الآلة في العربية هو "مِفْعالة" [٢].

ب ـ" السيارة" في الاصطلاح التاريخي.

يُعدُّ من الأهمية بمكان تتبّع تاريخية لفظ "السيارة" ومدلولها عبر الحقب التاريخية المتعاقبة، بدءًا من مرحلة ما قبل الإسلام ووصولًا إلى العصر الفاطمي. وفي هذا السياق، يلاحظ الباحث—بحسب ما توصل إليه—أن أول سياق وردت فيه لفظة "السيارة" هو النص القرآني الكريم [٣]، إذ لم يُعثر على استخدام صريح لها في الشعر الجاهلي، بما في ذلك المعلقات.

إلا أن غياب اللفظة في النصوص الشعرية الجاهلية لا يُعد دليلاً قاطعًا على جهل العرب بهذه اللفظة قبل الإسلام[٤]؛ إذ إنه من المسلمات أن القرآن الكريم نزل بلغةٍ يفهمها العرب، واستعمل ألفاظًا ومفاهيم مألوفة لديهم. ومن ثم، يصعب قبول القول بأن لفظ "السيارة" مستحدث قرآنيًا محضًا، لأن الخطاب الإلهي لا يمكن أن يُوجَّه إلى قومٍ بألفاظٍ غريبة عنهم تمامًا.

---

(١) أحمد مختار عمر، وآخرون: ***معجم الصواب اللغوي "دليل المثقف العربي"***، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، جـ١، ص٤٥٨.

(٢) أحمد مختار: معجم الصواب اللغوي، جـ١، ص٤٥٨.؛ أحمد مختار عمر، وآخرون: ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، عالم الكتب، ط١، القاهرة، (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م)، جـ٢، ص١١٤٨.

(٣) الراغب الأصفهانى: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٨٩.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

(٤) الراغب الأصفهانى: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٨٩.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

ويعزز هذا الرأي وجود بعض الأفراد في عصر النبوة ممن لُقّبوا بـ"أبي سيارة"، ومنهم من كان من الصحابة الذين رووا الأحاديث عن رسول الله ﷺ، [١]، يشير إلى أن اللفظة كانت مألوفة ومتداولة في محيطهم الاجتماعي والثقافي.

كما أن الزمخشري أشار إلى أن بعض شعراء صدر الإسلام من الفحول، مثل عمر بن أبي ربيعة[٢]، قد استخدموا هذه اللفظة في أشعارهم، مما يضفي بعدًا تاريخيًا إضافيًا على شيوعها واستخدامها اللغوي بعد الإسلام.

ومما يُلفت النظر بشأن لفظة "السيارة" في السياق القرآني، أن الكلمة وردت للدلالة على جماعةٍ سائرة أو قافلةٍ متحركة لغرض معين [٣]، دون توضيح وتفصيل مباشر عن صفة هذه القافلة [٤]، ومع ذلك، فإن الراجح في أغلب التفاسير أنها كانت قافلة تجارية، وذلك بالنظر إلى ما قامت به "السيارة" حين عثرت على النبي يوسف (عليه السلام)، وجعلته بضاعة تُباع ضمن ممتلكاتها، وهو ما يشير بوضوح إلى الطابع التجاري البحت لتلك القافلة[٥]، فقد تعامل أفرادها مع يوسف كسلعة، فحملوه معهم بقصد بيعه،

---

(١) المزي(ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م): ***تهذيب الكمال في أسماء الرجال***، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، جـ١٢، ص٩٣/٩٦؛ جـ٢٤، ص١٢٦؛ جـ٣٣، صص٣٩٧_٣٩٩.

(٢) ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة (ت ٧١١م / ٩٣ هـ):

استربعوا ساعة فأزعجهم ... سيارة يسحق النوى قلق.

للمزيد انظر؛ الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): ***أساس البلاغة***، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)، جـ١، ص٣٣٢.

(٣)الراغب الأصفهانى: غريب القرآن، ج١، ص٤٣٢.؛ معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦. ؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٨٩.

(٤) الراغب الأصفهاني: معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

(٥) الراغب الأصفهاني: معجم ألفاظ القرآن، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

مما يعكس واقع النشاط الاقتصادي الذي كانت تقوم به مثل هذه القوافل في ذلك العصر (١).

كذلك وردت لفظة "السيّار" ومشتقاتها، مثل "سيّارة (٢) و"سيّارات" (٣) في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة (٤)، حيث جاءت هذه الألفاظ بمعانٍ متعددة ذات دلالات روحية وطبيعية.

ففي بعض المواضع، جاءت اللفظة لتشير إلى الملائكة الذين يطوفون بين العباد الصالحين، يرصدون مجالس الذكر ويشهدون حلقات العلم والعبادة. كما ورد استخدامها أيضًا في سياقات أخرى لتدل على السحاب المحمول بالغيث والمطر، والذي يُعد من مظاهر رحمة الله لعباده (٥).

ومن اللافت في بعض التراجم التي تعود إلى العصرين الراشدي والأموي، ملاحظة انتشار كنية "أبي سيارة" (٦)، في عدد من السير، وهي كنية اتصلت في كثير

---

(١) نفسه، جـ١، ص٦١٥/٦١٦.

(٢)أبو داود (ت ٢٠٤هـ): ***مسند أبي داود***، تحقيق محمد بن عبد المحسن، دار هجر، ط١، (القاهرة _مصر)، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م، جـ٤، ص١٧٩.

(٣) النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م): ***المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، جـ١٧، ص١٨.؛ ابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م): ***فتح الباري فى شرح صحيح البخاري***، تحقيق محمد فؤاد وآخرون، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٧٩م، جـ١، ص١١٤؛ جـ١، ص٢٠٢.؛ القسطلاني (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ط١، مصر، ١٣٢٣ هـ/١٩٠٣م، جـ٧، ص٧٠.

(٤) النووي: شرح، جـ١٧، ص١٨.

(٥) ابن حجر: فتح الباري، جـ١، ص١١٤؛ جـ١، ص٢٠٢

(٦) ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ / ١٢١٠): ***المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات***، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الجيل/ دار عمان، ط١، بيروت/ عمان، ١٩٩١م، ص١٦٠.

من الأحيان بالوظائف المرتبطة بالمكارية وخدمة الطرق والقوافل، وهو يرتبط بأحد معاني كلمة السيارة أيضا، ويكشف هذا الارتباط بين الكنية والمهنة عن تجذر المفردة في البيئة الاجتماعية والاقتصادية لذلك العصر، حيث اتخذت مدلولًا وظيفيًا يُعبّر عن صلة أصحاب هذه الكنية بعالم التنقل والسفر وخدمة الحجيج أو التجار، مما يُضفي على استخدام اللفظة بعدًا تداوليًا عمليًا، يعزز من فهمنا لتطور معناها التاريخي.

ومن بين الأسماء التي اشتهرت بهذا اللقب، رجل يسمى عميلة بن خالد العدواني، الذي عُرف بين الناس بأبي سيارة، وكان يعمل على نقل الحجاج بين المشاعر المقدسة في الحرم المكي باستخدام حماره وجِماله، وقد اشتهر هذا الرجل بسرعة تنقله بين الصفا والمروة ومنى وعرفة، رغم ضعف راحلته التي وُصفت بالعرجاء [1]، وقد خلّدته العامة من خلال ضرب المثل به في سوء الحال مع كفاءة الأداء، فكان يُقال: "أَصَحُّ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارَةَ"، وذلك للدلالة على الشيء الذي يبدو في غاية السوء، لكنه مع ذلك يؤدي الغرض، بل وربما يُقارن به الآخرون فيما لديهم من سوء[2].

ويُلاحظ فيما بعد ذلك، ووفقًا لما تتيحه المصادر الأدبية والتاريخية التي وصلتنا من العصور الإسلامية المتقدمة، أن استخدام لفظ "السيارة" بدأ ينحسر تدريجيًا في الحياة

---

(١) ابن الأثير، المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، ص ١٦٠؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١١، ص٣٨٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف (ت ٦٥٤ هـ)، ***مرآة الزمان في تواريخ الأعيان***، تحقيق محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، جـ٢، ص٥٦٣. ؛ فخر الدين الزيلعي، عثمان بن علي (ت ٧٤٣ هـ/١٣٤٣م): ***تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ***، المطبعة الكبرى الأميرية، ط١، بولاق، القاهرة، ١٣١٣ هـ/١٨٩٥م، جـ٣، ص٢٢٢.؛ جواد علي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١١، ص٣٨٦.

العامة والمهن، وقلّ حضوره بوصفه اسمًا أو لقبًا أو كنية، لا سيما في السياقات الرسمية والإدارية.

كما أن مراجعة المصادر التي عنيت بالتأريخ للدواوين الإسلامية منذ نشأتها المؤسسية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحتى تعريبها في عهد عبد الملك بن مروان، وفيما بعد ذلك، تكشف غيابًا واضحًا لمسمى "السيارة" كوظيفة رسمية أو إدارية (١)، فلا نجد لهذا اللقب أو التوصيف أثرًا في سجلات الدولة أو وظائفها، لا صراحةً ولا تلميحًا، وذلك حتى ما قبل العصر الفاطمي، وبالتحديد إلى حدود منتصف القرن الرابع الهجري.، ومن هنا يُثار تساؤل جوهري:هل يعني غياب المسمّى اللغوي في المصادر الإدارية بالضرورة غياب الوظيفة نفسها عن النظم السياسية والتنظيمية للدولة الإسلامية؟

والحق أن الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن تُرجأ إلى نهاية هذه الدراسة، لا لأن المسألة لغوية فحسب، بل لأن الحكم على وجود الوظيفة من عدمه لا يمكن أن يتم إلا بعد تحليل الطبيعة التكوينية لهذه الوظيفة في العصر الفاطمي، من حيث اختصاصاتها، أهدافها، والطبقات الاجتماعية التي كانت تتولاها، وعندها فقط يمكن مقاربة مدى امتداد هذا المنصب أو غيابه في العصور السابقة له.

(١) الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): ***الأحكام السلطانية***، دار الحديث ، د.ط، القاهرة، د.ت، ص ١ وما بعدها. ؛ الفراء (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م): الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص١ وما بعدها.

ثانياً: المهام الوظيفية وصلاحيات شاغلي هذه الوظيفة كما تعكسها الإشارات الواردة في المصادر:

أ- المصادر التي أوردت هذه الوظيفة.

يُعدّ المؤرخ المصري المُسَبِّحي، عزّ الملك (ت: ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) [١]، أول من أشار إلى هذه الوظيفة صراحة في المصادر التاريخية، وقد عاين — بلا شك — من تولّاها في عصره. ثم ورد ذكرها بعده، وفقاً للتسلسل الزمني، لدى المؤرخ الأنطاكي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) [٢] في كتابه صلة تاريخ أوتخيا. وتلاه في ذلك موهوب بن منصور الإسكندراني (ت: نهاية القرن الخامس الهجري) [٣] أحد كُتّاب سير البيعة المقدسة، حيث وثّق سير البطاركة في عهد الخليفة المستنصر بالله[٤].

---

(١) المُسبحي (ت: ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): ***الجزء الأربعون من تاريخ مصر (القسم التاريخي)***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، تياري بيانكي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢٠، ص٥٠

(٢) الأنطاكي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٧م): ***صلة تاريخ أوتيخا***، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٧٣.

(٣) الإسكندراني (ت: نهاية القرن الخامس الهجري): ***سير البيعة المقدسة المعروف بـ"تاريخ الآباء البطاركة"***، تحقيق: شريف رمزي، كريست برنت، ط١، القاهرة، ٢٠٢٣م، ص٧٣٣-٧٣٦.

(٤) المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٦-١٠٩٤م): هو أبو نزار معدّ بن الخليفة الظاهر، خامس الخلفاء الفاطميين في مصر، وثامنهم منذ قيام الدولة الفاطمية، تولّى الخلافة وهو لا يزال صغيرًا، وامتد عهده مدة ستين سنة، وهو أطول عهد لخليفة فاطمي، وفيه ضعفت الدولة وكادت أن تسقط. وقد شهدت العشرين سنة الأخيرة من حكمه هيمنة الوزراء على مقاليد الأمور، الأمر الذي مهّد لبداية العصر الثاني من الدولة الفاطمية. للمزيد عن المستنصر بالله وعهده يُنظر؛ المقريزي(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، مج. ٢، ص١٧٣، مج.٢، ص ٢٤١ وما بعدها. ؛ أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م):

كما أشار إليها لاحقاً ابن الصيرفي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م) (١) في كتابه الإشارة، ثم ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م) (٢)، وفي أواخر القرن السادس الهجري، ورد ذكر هذه الوظيفة بشكل عابر في كتاب المُغرب في حُلى المغرب(٣)، الذي — كما هو معلوم — شارك في تدوينه عدد من المؤلفين المتعاقبين من أسرة بني سعيد المغربي (٤).

ومما سبق، يمكن تسجيل عدد من الملاحظات المتعلقة بتناول المصادر التاريخية لهذه الوظيفة وتشابكها معها. أولى هذه الملاحظات أن أقدم ذكر لهذه الوظيفة ورد في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦–٤١١هـ/٩٩٦–١٠٢١م) (٥)، في حين أن

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب ط١، القاهرة، د.ت، جـ ٥، ص ١ وما بعدها.

(١) ابن الصيرفي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م): ***القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٦٣.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م): ***ذيل تاريخ دمشق***، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٩٨٣م، ص١١٧، ص٢٧٥.

(٣) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسى ت ٦٨٥هـ): النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة؛ القسم الخاص بالقاهرة من كتاب "المغُرب فى حلى المغرب، تحقيق حسين نصار، دار الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧٤.

(٤) نفسه، المقدمة.

(٥) الحاكم بأمر الله (٣٨٦–٤١١هـ / ٩٩٦–١٠٢١م): هو أبو علي المنصور، ثالث الخلفاء الفاطميين في مصر، وسادسهم منذ قيام الدولة الفاطمية. وُلِد سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٦م)، وتولى الخلافة صغيرًا بعد وفاة أبيه، فتولى القوّاد الوصاية عليه، إلى جانب أخته ستّ الملك التي كان لها دور بارز في إدارة شؤون الدولة في تلك المرحلة. للمزيد عن الحاكم بأمر الله يُنظر: ابن خَلِّكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الجزء ٧، الطبعة ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، جـ ٥، ص ٢٩٢ وما بعدها. المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٤. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٧٦ وما بعدها.

آخر إشاراتها ظهرت في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله[١]، خلال وزارة الأفضل شاهنشاه[٢].

غير أن هذا التحديد الزمني لبداية الظهور أو نهايته، لا ينبغي أن يُفهم على أنه يدل على نشأة مفاجئة لهذه الوظيفة أو على اختفائها بشكل حاسم ومباشر، لا سيّما في ظل فقدان عدد من المصادر التاريخية الأساسية[٣]، التي سبقت أو عاصرت أو تلت تلك

---

(١) الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥–٥٢٤هـ / ١١٠٢–١١٣٠م): هو الإمام السابع من خلفاء الدولة الفاطمية في مصر، والعاشر منذ قيام دولتهم في المغرب. تولى الخلافة سنة (٤٩٥هـ / ١١٠٢م)، واستمرت خلافته تسعة وعشرين عامًا، بذل خلالها محاولات متعددة لاستعادة سلطة الخلفاء على شؤون الدولة، بما في ذلك ممارسة حق العزل والتولية؛ علاوة على محاولات للقضاء على الدعوة النزارية.، الذين قُتل على أيديهم سنة (٥٢٤هـ / ١١٣٠م). للمزيد يُنظر؛ الأمر بأحكام الله (أبو علي المنصور بن المستعلي أبي القاسم أحمد، ت ٥٢٤هـ / ١١٣٠م): ***الرسالة الموسومة بالهداية الآمرية في إبطال دعوى النزارية***، ويليها: إيقاع صواعق الإرغام في إدحاض حجج أولئك اللئام، عُني بتصحيحهما آصف بن علي أصغر فيضي، نشره المحقق بلندن، ١٩٣٨م، ص ١٨.؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٣، ص ٢٩–١٢٨.

(٢) الوزير أبو القاسم شاهنشاه (٤٨٧–٥١٥هـ / ١٠٩٤–١١٢١م): هو ابن الوزير بدر الدين الجمالي الأرمني الأصل، ووريثُ وزارة أبيه، وقد لُقِّب بـ"شاهنشاه"، وهو لقبٌ فارسي يعني "ملك الملوك". تولى الوزارة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، واستمر في منصبه حتى مقتله سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م. سار شاهنشاه على نهج أبيه في إحكام السيطرة على الخلفاء الفاطميين، وكان من أبرز قراراته السياسية اختيار المستعلي أحمد لتولي الخلافة بعد وفاة المستنصر بالله، متجاهلًا العهد الذي كان قد عقده المستنصر لابنه نزار، وقد أدى هذا القرار إلى انقسام الدعوة الفاطمية وظهور النزاريين كفرقة مستقلة معارضة. وفي نهاية المطاف، قُتل الوزير شاهنشاه على يد فرقة النزارية التي اعتبرت موقفه خيانة لعهد نزار. للمزيد عنه انظر: ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٩٧. ؛ النويري (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، جـ ٢٨، ص ٢٣٩–٢٤٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٤٨.

(٣) ابن المأمون البطائحي (ت: ٥٨٨هـ/١١٩٢م): ***نصوص من أخبار مصر***، جمعها وحققها أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م. انظر المقدمة.

الفترة[١]، مثل أجزاء كبيرة من تاريخ المُسَبِّحي، وتاريخ ابن زولاق، وكذلك تاريخ القاضي القضاعي الذي لم يصلنا منه سوى مختصر محدود، بناءً على ذلك، فإن القطع بأن ظهور هذه الوظيفة بدأ في عهد الحاكم بأمر الله يظل موضع تحفظ، وقد يُشوب هذا الحكم قدرٌ من الشك المنهجي.

كما يُلاحظ أيضاً أن ذكر هذه الوظيفة اقتصر على عدد من المؤرخين في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، لا جميعهم بطبيعة الحال، بل على نحوٍ أكثر تحديدًا لدى أولئك الذين أبدوا اهتمامًا واضحًا بالتأريخ للدولة الفاطمية، وكانوا قريبين عهدًا بزمنها أو محيطها الإداري والثقافي[٢].

وبعد تلك الفترة، يُلاحظ انحسارٌ تامّ في ذكر هذه الوظيفة في أي من المصادر التاريخية، وهو أمر لافت للنظر. ويُحتمل أن يكون هذا الغياب مرتبطًا بانقضاء عصر المؤرخين الذين يُفترض أنهم عاصروا هذه الوظيفة، أو شهدوا من تولّاها، أو نقلوا عن معاصريها ممن سجّلوا ملاحظاتهم عنها [٣]، وفي ضوء ذلك، لا يبدو من المنهجي فرض فرضية تُعزى إلى تأثير جهوي أدّى إلى إغفال تدوين هذه الوظيفة أو إهمال الإشارة إليها، خاصة وأن المؤرخين الذين تناولوا هذه الوظيفة لم يكونوا من منطقة جغرافية واحدة؛ فقد كان بعضهم من بلاد الشام، وآخرون من المغرب، مما يدلّ على اتساع دائرة الاهتمام بها، ويُضعف احتمال وجود تحيّز جهوي في إغفالها لاحقًا.

---

(١) ابن المأمون البطائحي: نصوص من أخبار مصر، انظر المقدمة.

(٢) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦. ؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١١٧/ص٢٧٥.

(٣) ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص٧٤.

ومهما يكن من أمر، فإن المؤرخ المصري، وعمدة مؤرخي الديار المصرية، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م) [١] يعود — بعد انقطاع دام نحو ثلاثة قرون — ليُعيد ذكر هذه الوظيفة مجددًا، وذلك في معظم مؤلفاته التي تناول فيها تاريخ الدولة الفاطمية، مثل اتعاظ الحنفا[٢]، المواعظ والاعتبار [٣]، والمقفي الكبير [٤]، ولعل ذلك كان نابعًا من إدراكه العميق لأهمية هذه الوظيفة ومكانتها في النظام الإداري الفاطمي، ويُعزِّز هذا التوجّه بما هو معروف عن المقريزي من اطلاعه على مصادر تاريخية دوِّنت في العصر الفاطمي، ولم تصل إلينا في الوقت الحاضر، مما مكّنه من نقل معلومات لم تعد متوفرة في المصادر المتأخرة، وأسهم في حفظ كثير من تفاصيل تلك المرحلة، ومنها ما يتعلّق بهذه الوظيفة.

وهذا في الحقيقة يرتبط بإشكالية مهمة يُحتّم التنبيه إليها، وهي أن محدودية ذكر هذه الوظيفة في الفترة التي تلت سقوط الدولة الفاطمية وحتى عصر المقريزي، ثم اندثار الإشارة إليها في المصادر التي تلت عصره كذلك، لا يُعدّ مؤشراً قاطعاً على ضآلة شأن هذه الوظيفة أو ضعف أثرها، وذلك لعدة اعتبارات يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، مج. ٢، ص١٧٣.

(٢) نفسه، مجـ٢، ص١٧٣/ص٢٤٦. مجـ٣، ص٤٨.

(٣) المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): ***المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، مج. ٤، ص١٠٨٧.

(٤) المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): ***المقفى الكبير***، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦م، ج. ٣، ص٣١٧–٣١٨.

أولاً: إن غالبية المؤلفات التي عاصرت الدولة الفاطمية، والتي يُفترض أنها تناولت بعض الجوانب المتعلقة بهذه الوظيفة [١]، قد وصلت إلينا إما مبتورة وناقصة، أو لم تصل لنا أساسًا، مثل كثير من أعمال المؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة [٢].

ثانيًا: قد لا تكون هذه الوظيفة من المواضيع التي حظيت باهتمام خاص من قِبَل من نقلوا عن مصادر العصر الفاطمي، إذ انصب تركيز كثير من هؤلاء على الجانب السياسي والعسكري للدولة، في حين تم إغفال الجوانب الإدارية والمهنية الدقيقة، ومنها هذه الوظيفة.

ثالثًا: يُعزّز من فرضية عدم اهتمام بعض المؤرخين بتدوين أخبار هذه الوظيفة، احتمالُ أنهم لم يُحيطوا بطبيعتها الغرائبية أو خصوصيتها الوظيفية، أو أنهم أسقطوا ذكرها بسبب اختفاء مسمّاها الصريح في عصورهم. ويتجلّى هذا في حالة مؤرخين بارزين مثل ابن الطوير (ت: ٦١٧هـ/١٢٢٠م) [٣] والقلقشندي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) [٤]، فعلى الرغم

---

(١) "ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب 'أخبار مصر' للمُسَبِّحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، الذي لم يُحفظ منه سوى الجزء الأربعين، حيث دوّن المؤلِّف أحداثًا ووقائع خلال عدة أشهر من سنتي ٤١٤هـ و٤١٥هـ."للمزيد، يُنظر: المُسبحي، الجزء الأربعون من أخبار مصر (القسم التاريخي)، المقدمة، ص٢٠-٥٠.

(٢) ومن ذلك أيضًا كتاب "المختار في الخطط والآثار" للقاضي القضاعي (ت: ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، والذي يُعد في حكم المفقود، إذ لم يصلنا منه شيء. ويُعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها المقريزي في حديثه عن النظم والوظائف والخطط الفاطمية، خصوصًا في العاصمة القاهرة حتى منتصف القرن الخامس الهجري. للمزيد يُنظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مج. ١، ص١١

(٣) ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م): ***نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين***، أعاد بنائه وحققه أيمن فؤاد سيد، دار فرانتس ستاينر ستوتغارت، ط١، المعهد الأماني، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٦ وما بعدها.

(٤) القلقشندي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): ***صبح الأعشي في صناعة الأنشأ***، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٢٢م، جـ٣، ص٤٧٢ وما بعده.

من اهتمامهما البالغ برصد النظام الإداري الفاطمي وتقديم وصف دقيق لتفصيلاته وتدرجاته، إلا أنهما لم يُشيروا إلى هذه الوظيفة في مؤلفاتهما.

ويقابل هذا الإغفال وعيٌ مختلف لدى مؤرخين آخرين أدركوا أهمية هذه الوظيفة، رغم غياب اسمها الرسمي، ومن أبرزهم المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) [١]، الذي لَفَتَ بوضوح إلى استمرار المهام المرتبطة بها، وإن اختفى مسمّاها، وقد سجّل ذلك في جل مؤلفاته بشكل صريح.

رابعًا: علاوة على ما سبق، يُضاف إلى ذلك ما يمكن وصفه بالموقف التدويني المتحفّظ، بل والموتور أحيانًا[٢]، الذي تبنّاه بعض مؤرخي المدرستين الشامية والمصرية على حد سواء، والذي تمثّل في العزوف عن النقل أو التدوين من المصادر المصرية المعاصرة للعصر الفاطمي. ويُعزى هذا الاتجاه في جانب منه إلى أسباب مذهبية[٣]، كما أشار إلى ذلك المقريزي نفسه[٤]، ونبّه إلى خطورته وانعكاساته على كتابة التاريخ المصري في تلك الفترة.

خامسًا: وإضافةً إلى ما سبق، فإنه — ورغم ما كانت تحظى به هذه الوظيفة من أهمية ومركزية في البناء الإداري الفاطمي — فقد ظلت ذات طابع محلي من حيث النطاق الجغرافي، إذ ارتبطت بالنظام الإداري المصري تحديدًا، وبشكل أكثر تخصيصًا ببعض

(١) المقريزي: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، مج.١، ص٢٦٨.

(٣) نفسه، مج.١، ص٢٦٨.

(٤) نفسه، مج.١، ص٢٦٨.

أقاليم الديار المصرية[١]، وهو ما قد يكون سببًا إضافيًا في تراجع الاهتمام بتوثيقها، خاصة لدى المؤرخين المهتمين بتاريخ المشرق أو بالعالم الإسلامي الأوسع.

هذا عن وظيفة صاحب السيارة في المصادر التاريخية، أما في الدراسات الحديثة الخاصة بالنظم الإدارية الفاطمية، فيلاحظ غياب الإشارة إلى هذه الوظيفة في مؤلفات معظم الباحثين منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن، بدءًا بدراسات الروسيين إنسترونتسيف (Inostrantsev: 1905)(٢) وإيفانوف (Ivanow: 1963) (٣)، والفرنسي ماريوس كَنار (Canard: 1951–1952) (٤)، الذي يعدّ أول من تناول المراسيم والنظم الفاطمية بشكل مفصل. مرورًا بدراسات المؤسسين العرب، لاسيما المصريين منهم، وعلى رأسهم حسن إبراهيم حسن[٥]، وعطية مشرفة[٦]، وعبد المنعم

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، مج٢، ص١٧٣؛ نفسه، مج٢، ص١٧٣–٢٤٦؛ مج٣، ص٤٨. ؛ المواعظ والاعتبار، مج٤، ص١٠٨٧. ؛ المقفى الكبير، ج٣، ص٣١٧–٣١٨.

(2)Inostrantsev, K. A.: ***Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Kalilov*** ،Zap. Vost. Otdyel. Imp. Russ. Arkheol. Obshcestva ،XVII ،St Petersburg ،١٩٠٥ ،pp. 364–395.

(3)I vanow, Wladimir: ***Ismaili Literature: A Bibliographical Survey*** ،Tehran University Press٢ ،nd ed. ،Tehran ،pp. 1–7.

(4)Canard, M., Le cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin: Essai de comparaison, Byzantion, Vol. 21, No. 2, 1951, pp. 355–420. (Also reprinted in Byzance et les Musulmans du Proche-Orient, London, Variorum Reprints, 1973). Canard, M., La procession du Nouvel An chez les Fatimides, Annales de l'Institut d'Études Orientales, Vol. 10, 1952, pp. 364–398.

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): ***ترتيب مملكة الفاطميين في مصر***، تحقيق ماريوس كالنار، د ن، ط١، الجزائر، جـ١، ص١ وما بعدها

(٥) حسن إبراهيم حسن: ***الفاطميون في مصر وأحوالهم السياسية والدينية بوجه خاص***، المطبعة الأميرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م، ص١ وما بعدها.؛ ***تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب***، دار النهضة، د ن، ١٩٥٨م، ص١ وما بعدها.

(٦) عطية مشرفة: ***نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين***، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١ وما بعدها.

ماجد[١]، كما أغفلتها كذلك الباحثة بولا ساندروز (Sanders: 1994) في دراستها عن المراسيم الفاطمية[٢].

يمكن القول إنه منذ بداية القرن العشرين، مع انطلاق الدراسات الأكاديمية المنظمة التي تناولت العصر الفاطمي، وحتى نهاية القرن ذاته، لم تحظَ هذه الوظيفة بالاهتمام الكافي أو الدراسة التفصيلية في الأبحاث العلمية. فقد غاب ذكرها تمامًا في أغلب الدراسات والمراجع التي عالجت النظم الإدارية والعسكرية للدولة الفاطمية، باستثناء باحثين فقط، هما؛ الدكتور أيمن فؤاد [٣] الذي رغم صدور كتابه عن الدولة الفاطمية في تسعينيات القرن العشرين، لم يتناول هذه الوظيفة إلا في الطبعة الثانية من كتابه "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد" [٤]"، حيث خلت الطبعة الأولى من أي ذكر لهذه الوظيفة كمكون إداري أو عسكري[٥].

ثم بعد ذلك ذكرت الباحثة رحاب جناحة (الدكتورة فيما بعد) هذه الوظيفة في رسالتها للماجستير خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ثم نشرت دراستها في

---

(١) عبد المنعم ماجد: ***نظم الفاطميين ورسومهم***، مكتبة الإنجلو، ط٣، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص١

(2)Sanders, P.: ***The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt***, Ph.D. Dissertation, University of Princeton, 1984, pp. 22-24.

(٣) أيمن فؤاد سيد: ***تاريخ الدولة الفاطمية في مصر "تفسير جديد"***، مكتبة الأسرة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) نفسه، ص٣٢٨_٣٢٩.

(٥) أيمن فؤاد ***سيد: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر "تفسير جديد***"، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٧٦.

كتابها المعنون بـ «حكام الأقاليم في مصر في العصر الفاطمي»" [١]، وقدمت في ذلك رؤية عامة، تناولت فيها الوظيفة من حيث طبيعتها ومهام متوليها ورجحت بأنها وظيفة إدارية متفقة في ذلك مع د. أيمن فؤاد سيد، كما أكدت أنها كانت موجودة فقط في النظام الإداري للفترة الأولى من العصر الفاطمي فحسب[٢]، ورغم اتفاقها مع د. أيمن على طبيعة الوظيفة، فقد اختلفت معه فيما ذهب إليه من أن هذه الوظيفة حلت محل والى الإقليم والنواحي والكور في العصر الفاطمي الأول[٣].

ب- الطبيعة التكوينية لهذه الوظيفة.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن تكوين صورة تقريبية لطبيعة وظيفة "صاحب السّيارة" بالاستناد إلى ما ورد عنها في المصادر التاريخية، وهو ما يتيح قدراً من الترجيح في فهم ماهية هذه الوظيفة ومكانتها، وفي هذا السياق، لا بد من البدء بأول من أشار إليها من المؤرخين [٤]، هو عزّ الملك المُسبّحي[٥]، الذي يُعدّ مصدرًا ذا أهمية خاصة لكونه ليس فقط أوّل من ذكرها، بل لأنه أيضاً كان معاصرًا لها، وعاين مهام متوليها عن كثب. فقد وثّق في أحداث شهر المحرّم من سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، وصول جماعة من

---

(١) رحاب جناحة: ***حكام الأقاليم فى مصر فى عصر الخلفاء الفاطميين(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)***، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٣٢.

(٢) فؤاد سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، ص٣٢٨_٣٢٩.؛ جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣.

(٣) جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣-١٣٤.

(٤) على الرغم من ورود ذكر وظيفة "صاحب السّيارة" في رواية ابن سعيد المغربي ضمن أحداث تعود إلى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، فإن الباحث قدّم رواية المؤرخ المُسبحي المتعلقة بعهد الخليفة الظاهر لدين الله عليها؛ وذلك استنادًا إلى معيار أولوية الرواية المعاينة على الرواية المنقولة، فالمُسبحي كان شاهدًا معاصرًا ومعاينًا للأحداث التي أرّخ لها، في حين نقل ابن سعيد روايته بعد قرنين تقريبًا. للمزيد، انظر: المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠؛ ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة، ص٧٤.

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠.

المتمرّدين الرُحّل من أسفل أرض مصر إلى القاهرة [(١)] فارّين من أمام صاحب السّيارة، عدّة الدولة وعمادها، رِفق الخادم [(٢)]؛ ثم أشار إلى أن هذا الأخير، لما عاود إلى القاهرة بعد هذه الحادثة بعد شهر واحد؛ أي في صفر ٤١٥هـ/١٠٢٤م، كان بصحبته عدد كبير من الأسرى، بالإضافة إلى غنائم وأسلاب استولى عليها خلال حملته [(٣)].

---

(١) "**أسفل الأرض**" مصطلح جغرافي استخدمه العرب في العصور الإسلامية للدلالة على الأراضي الواقعة شمال مدينة الفسطاط وحتى سواحل مصر الشمالية. وقد ارتبط هذا الاصطلاح بانخفاض منسوب تلك الأراضي مقارنة بمناطق الجنوب، إذ كانت المياه تطأها بسهولة نظرًا لانخفاض مستواها الطبوغرافي. وفي مقابل هذا المصطلح، استخدم العرب أيضًا تعبير "الصعيد" للدلالة على المناطق الواقعة جنوب الفسطاط، نظرًا لعلوها النسبي، وانحدار المياه منها نحو الشمال. ويُظهر هذا الاستخدام الاصطلاحي إدراكًا طبوغرافيًا واضحًا لطبيعة الأراضي المصرية، ويفسر الفارق بين الدلتا والصعيد من منظور جغرافي إداري. للمزيد، انظر: حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٢٠.
محمد البقلي: ***التعريف بمصطلحات صبح الأعشى***، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٥٦.
علاء الدين عبد الخالق: ***الأطلس التاريخي لأسفل الأرض للأمير عمر طوسون – دراسة كارتوغرافية***، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ١٩٩٤م، ص٢٧-٣٠.

(٢) "**رفق الخادم**" واحد من كبار القادة العسكريين في دولة الخليفة الظاهر، كما استمر تأثيره في عهد ولده الخليفة المستنصر. وكان أصله من خدم القصر من فئة السودان، ويُرجح أنه قد جرى تحنكه لاحقًا، فصار من جملة القادة المحنكين في الدولة الفاطمية. وقد حمل ألقابًا ذات دلالة عالية في السلم العسكري الفاطمي، أبرزها لقب "الأستاذ" كما أشار =إلى ذلك المؤرخ ابن الصيرفي، ولقب "أمير الأمراء"، وهو لقب يدل على مكانته المتقدمة في البنية القيادية للدولة. تولى رفق الخادم عددًا من المهام العسكرية والإدارية الهامة، من بينها قيادة "سيارات أسفل الأرض"، بالإضافة إلى مشاركته في تجريدات عسكرية إلى دمشق وحلب، ما يعكس الثقة الكبيرة التي أوليت له في قيادة الجيوش. وقد تُوفي خلال إحدى هذه الحملات سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م. للمزيد، يُراجع: المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠، ٥٠. ؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، =ص٧٤.؛ ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن راغب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م): ***المنتقى من أخبار مصر***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٩٨١م، ص٧، ١٠.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠.

وبناءً على الإشارة التي وردت لدى المُسبحي، يمكن القول إن منصب "صاحب السيارة" كان يُعد من أرفع المناصب العسكرية في الدولة الفاطمية، وأن من يتولاه كان من أبرز القادة العسكريين في تلك الحقبة، وهذا ليس من التهويل في شيء، إذ تأتي المصادر اللاحقة[١] بذلك لتؤكد هذه الصورة، حيث توضح بجلاء أن هذا المنصب كان ذا طابع عسكري محض، لا يمت بصلة إلى الإدارة المحلية المستقرة في النواحي والكور، أي أنه لم يكن والي حرب مقيم، أو مجرد حكام كورة[٢]، إنما بدا هذا المنصب أقرب ما يكون إلى ناظر عسكري مختص بشؤون الكور والأعمال، وقد تمثلت مهمته في ضبط الأمن في الأقاليم ومعاقبة الخارجين على السلطة أو الممتنعين عن دفع الضرائب والموجبات المالية المفروضة، وذلك عند تقاعس أو عجز الولاة المحليين المستقرين في تلك النواحي عن أداء هذا الدور[٣]، وهو ما يعكس الطبيعة التدخلية والطارئة لهذه الوظيفة في الآن ذاته، حيث ارتبطت بمفهوم الردع والانضباط العسكري في أطراف الدولة، في محاولة لإثبات هيمنة السلطة المركزية في القاهرة.

ويعزز هذا الطرح ما ورد في روايات المؤرخين اللاحقين للعصر الفاطمي، ومن أبرزهم ابن سعيد المغربي؛ الذي يشير في كتابه المُغرب إلى حادثة بعهد الخليفة الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢١م)، مفادها أن الخليفة أوفد "صاحب السيارة" إلى ناحيتي رشيد والإسكندرية من أجل إنصاف تاجر مظلوم كان قد لجأ إلى القاهرة مستغيثًا

(١) موهوب بن منصور, سير البيعة المقدسة, ص ٧٣٣ / ص ٧٣٦. ؛ ابن الصيرفي, الإشارة إلى من نال الوزارة، ٦٣. ؛ ابن القلانسي, ذيل تاريخ دمشق, ص ١١٧ / ص ٢٧٥.؛ ابن سعيد, النجوم الزاهرة, ص ٧٤. ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، مج٢، ص١٧٣؛ نفسه، مج٢، ص١٧٣-٢٤٦؛ مج٣، ص٤٨. ؛ المواعظ والاعتبار، مج٤، ص١٠٨٧. ؛ المقفى الكبير، ج٣، ص٣١٧-٣١٨.

(٢) أيمن فؤاد سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، ص٣٢٨_٣٢٩.؛ جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠.

بالخليفة نفسه، مطالبًا بردّ ماله الذي سُلب منه ظلمًا[١]، والملاحظ أن الحاكم أسند هذه المهمة إلى "صاحب السيارة" مباشرة، متجاوزًا والي الكورة المعنية والتي وقعت فيها الحادثة [٢]؛ وهو ما يشير إلى خصوصية هذا المنصب وطبيعته التنفيذية الطارئة، ويؤكد استقلاله عن التسلسل الإداري المحلي، فلو كان "صاحب السيارة" هو نفسه الوالي أو صاحب الحرب – كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين [٣] – لكان من الأجدر أن يراسل الحاكم والي الناحية أو يكلفه بالنظر في أمر الشكوى.

لكنّ الواقع أن لجوء المتظلم إلى السلطة المركزية، وإعراض الخليفة عن مخاطبة والي الناحية، ربما يشير إلى عجز الوالي عن معالجة الأمر، ويُظهر أن "صاحب السيارة" كان يمثل أداة تنفيذية ذات طابع فوقي، تُستدعى عند فشل أو تقاعس السلطة المحلية.

ويأتي المقريزي في *"المقفى الكبير"* [٤] ليعزز ما ذهب إليه الباحث من أن منصب "صاحب السيارة" كان من أرفع المناصب العسكرية في الدولة الفاطمية، وأنه كان يُستخدم أحيانًا كأداة سياسية لكسب ولاء كبار القادة وتثبيتهم في مواقع التأثير والنفوذ[٥]، ويتجلى ذلك بوضوح في سياق حديثه عن حادثة اختفاء الخليفة الحاكم بأمر الله، حين تناول ترجمة القائد ابن دواس الكتامي، إذ يورد المقريزي أن ست الملك – أخت الحاكم – سعت إلى استمالته للتآمر على أخيها وتنصيب ابن الحاكم خليفةً مكانه، فعرضت عليه حزمة من الإغراءات الكبرى، وهذا ما ورد في رواية المقريزي التالية: ***(واتّفق أنّ الحاكم توحّش***

---

(١) ابن سعيد االمغربي النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص٧٤.

(٢) نفسه، ص٧٤.

(٣) أيمن فؤاد سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، ص٣٢٨_٣٢٩.؛ جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣.

(٤) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨.

(٥) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨.

ما بينه وبين أخته السيّدة العزيزيّة سيّدة الملك. فراسلته (أي ابن دواس) حتّى اجتمعت به واتّفقا على قتل الحاكم، وإقامة ابنه في الخلافة موضعه، وأن يكون ابن دوّاس صاحب الجيش وشيخ الدولة القائم بها. ووقّعت له بولاية السيارتين، وهي حماية مصر، وبخمسين ألف دينار إقطاعا، وعشرة آلاف دينار صلة، وعشرة أفراس بمراكب ذهب، ومائة قطعة ثيابا فاخرة، وسيف محلّى بذهب مرصّع بجوهر) [١].

ويفهم من ذلك أن ست الملك حتى تغري ابن دواس بالتخلص من الإمام[٢]، وهو حدث جلل من شأنه أن يربك من عرض عليه، إذ يعد أول إقدام حقيقي في الدولة الفاطمية على التخلص من الإمام بالقتل، ولذلك، كان من الضروري أن تكون الحوافز على قدر الحدث وخطورته؛ ويتضح من سياق الرواية أن ست الملك لم تقتصر في عرضها على منح ابن دواس قيادة الجيش، وهو في حد ذاته منصب بالغ الأهمية، بل أضافت إليه ولاية السيارتين[٣]، مما يدل بوضوح على المكانة الرفيعة التي كانت تحظى بها هذه الولاية، ومدى تأثيرها في بنية النظام العسكري الفاطمي.

وبديهي لو لم تكن هذه الوظيفة ذات منزلة عالية لم تكن لتجمعها في الإغراءات مع قيادة الجيش، ويُستدل من هذا النص أن منصب "صاحب السيارة" – أو ولاية السيارتين – كانت تداني وظيفة قائد الجيش في المكانة؛ وهو المنصب الذي يُعدّ في ذاته ذروة الهرم العسكري في الدولة، ومع ذلك فقد قرنت مهمة حماية مصر _وفقاً لما أوده المقريزي _ بالسيارة لا بالجيش، ولعل ذلك كان نابعًا من أن قائد الجيش كان في معظم

---

(١) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧.؛ انظر كذلك: ابن ظافر (ت: ٦١٣هـ/١٢١٦م): أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق: آندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ص٣٨.

(٢) المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤.

(٣) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨.

أحيانه مقيمًا في العاصمة لاعتبارات شتى، في حين أن متولي السيارة له _ ووفقًا لما ورد في المصادر كذلك_ كانت له جولات وسيارات سنوية لإقرار الأمن في أسفل الأرض، ولعل ذلك ما جعل المقدرارات المالية لمتولي هذه الوظيفة تفوق مقدارات قائد الجيش في المردود المالي لها في بعض الآحيان. ويعزز هذا الطرح ما ذكره المقريزى[١] بقوله**(ووقّعت له بولاية السيارتين وهي حماية مصر، وبخمسين ألف دينار إقطاعا)**[٢]، أي أن مردود ولاية هذه الوظيفة يتعلق بإقطاعات لا تقل في أي حال عن خمسين ألف دينار، و**هو** رقم كبير بمقاييس تلك الفترة، يفوق – أو على الأقل يوازي – ما كان يمنح لكبار القادة والولاة، مما يشير إلى عظم المكانة المالية والوظيفية الرفيعة التي حظيت بها هذه الولاية، ليس فقط من حيث المهام، وإنما كذلك من حيث العائد الاقتصادي والسياسي المرتبط بها.

ربما كان هذا الوضع موقتًا وخصيص بابن دواس، بسبب ما هو مقدم عليه، ولكن يبقى كذلك دليلاً على عظم هذه الوظيفة.

وفي إطار تأكيد المنزلة العسكرية الرفيعة لمن يتولى منصب "صاحب السيارة"، يورد المؤرخ عز الملك المُسبحي المعاصر لأحداث هذه الوظيفة [٣]، دلالة أخرى مهمة، تكشف عن البعد الرسمي والاحتفالي المصاحب لتولي هذه الوظيفة، وهو ما يعكس مكانتها ومركزيتها ضمن هيكل الدولة الفاطمية. ففي سياق الحديث عن عزل القائد رفق الخادم من "أعمال السيارة"، وتولية سَنِيّ الدولة حمد بن أخي التاهرتي بدلاً منه، حيث يذكر المسبحي:(**وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من رجب خلع على سَنى الدولة حمد**

(١) المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ، ص٣١٧.

(٢) نفسه، جـ٢، ص٣١٧.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠.

بن أخي التاهرتي، وقلد جميع سيارات أسفل الأرض التي كانت في يد عدة الدولة رفق الخادم الأسود، وحمل على فرس بسرج مصفح مغموس وعمامة صغرى مذهبة وثوب طميم) [١]؛ ويفهم من هذا النص أن تولي وظيفة "السيارة" لم يكن يتم بصورة عادية أو إدارية صرفة، بل كانت تُرافقه مراسم احتفالية رسمية تتضمن الخلع والهدايا والملابس التشريفية الخاصة، تمامًا كما هو الحال مع مناصب الدولة العليا، وهو ما يشير إلى أنها كانت وظيفة ذات طابع عسكري مرموق، تميزها رموز الوجاهة السلطانية والهيبة الاجتماعية، وتُخصّ بمظاهر التشريف التي لا تُمنح إلا لأصحاب المناصب الكبرى في الدولة [٢].

وإذا علمنا أن المراسم الاحتفالية لتولية المناصب في العصر الفاطمي كانت تتخصّ غالبًا للمناصب العليا فقط[٣]، كالإمامة، والوزارة، والقضاء، وهي المناصب التي كان يُقام لها موكب علني وخروج احتفالي يتضمن الخلع، والهبات، والحمل على الدواب في مواكب رسمية، فإننا ندرك دلالة ذلك في تقييم مكانة المناصب الأخرى.

أما بقية الوظائف، كصاحب الحسبة وصاحب الشرطة، فقد كانت تقتصر مظاهر التولية فيها على منح الملابس والخلع دون مظاهر موكبية أو علنية، في حين أن وظائف

---

(١) نفسه، ص٢٠.

(٢) نفسه، ص٢٠.

(3)Canard, M.: Le cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin, pp. 355. ؛Canard, M.: La Procession du Nouvel An chez les Fatimides, pp. 364 ؛Sanders, P.: The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt, pp. 22–24.

مثل ولاة النواحي ورؤساء الدواوين لم يكن يرافق تعيينهم سوى صدور سجل رسمي دون احتفال. [١]

في ضوء ذلك، يتبين أن منصب "صاحب السيارة" حظى بمكانة استثنائية، إذ يُعامل عند التولية معاملة الوظائف الكبرى في الدولة، من حيث تقديم الخلع الفاخرة، والهبات المالية[٢]، والحمل على دواب مزينة، في إطار احتفالية تُعلن توليته أمام العامة، وهو ما يُبرز بجلاء موقعه الرفيع ضمن البنية العسكرية للدولة الفاطمية. ومن ثمّ، فإن هذا الجانب الاحتفالي الرسمي يُعدّ مؤشرًا بالغ الأهمية ينبغي اعتباره عند تقويم مكانة هذه الوظيفة وصاحبها في السياق السياسي والإداري الفاطمي [٣].

ثم ما يزيد من دلائل عِظم مكانة هذه الوظيفة في العصر الفاطمي ما أورده المؤرخ المسبحي[٤] عند حديثه عن عزل رِفْق الخادم من ولاية السيارة وتولية سَنيّ الدولة حمد بن أخي التاهرتي بدلاً منه؛ إذ برّر سبب ذلك بما دار من مناظرة وقعت بين رفق الخادم ومَعْضاد قائد الجيش في الحضرة الإمامية ذاتها، وذلك طبقا لما يورده المسبحي بقوله:**(مناظرة كانت جرت بين رفق الخادم ومعضاد بالحضرة لأن معضاداً خاطب رفقاً الخادم على اضطراب البلاد وتشعيتها وأنه مقيم بالحضرة والفتن واقعة في نواحيه ، وأنه إن لم يسير لإصلاح أحوالها توافر الفساد والاضطراب، فقال رفق لمعضاد : كيف أصلح ما أنت مجتهد في إفساده ؟ لأن الرجال تحت يدك وهم لأمرك ونهيك سامعون**

---

(1)Canard, M.: Le cérémonial fatimide, pp. 355.

(٢) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠. المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ، ص٣١٧_٣١٨.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠.

(٤) نفسه، ص٢٠/ ص٥٠.

طائعون، وأنت تبعثهم على الفساد، ولو خرجت عن الحضرة المطهرة لكنت تطبق الدنيا على بعد مسيري، فكان هذا ، وشبهه سبب صرف رفق عن السيارة) [١].

وهذا النص يحمل دلالة واضحة على مدى رفعة هذا المنصب؛ فرِفْق صاحب السيارة يحاور قائد الجيش معضاد الخادم نفسه، والذي هو يفترض أنه أعلى **منه** مرتبة ورتبة [٢]؛ ويواجهه بلغة القوة والثقة، ويدّعي أن مجرد تحركه كفيل بإعادة الهيبة والانضباط إلى أرجاء البلاد، وليس هذا فحسب، بل إن الحوار يجري في قلب الحضرة، بين كبار رجال الدولة، ما يبرز أن صاحب السيارة لم يكن مجرد قائد ميداني ثانوي، بل كان واحدًا من الفاعلين الحقيقيين في جهاز الحكم، وله من الحضور والهيبة ما يوازي كبار القادة وأصحاب القرار في الدولة الفاطمية[٣].

ثم إن إلقاء قائد الجيش معضاد باللائمة على رِفْق الخادم، واتهامه بالتقاعس عن أداء دوره في حفظ الأمن [٤]، والقضاء على حالة الاضطراب في البلاد، وهو ما يُظهر بجلاء أن تلك المهام كانت من صميم اختصاصات متولي وظيفة "صاحب السيارة"، وعليه فهذا المنصب لم يكن شرفيًا ولا هامشيًا، بل كان محوريًا في النظام العسكري الفاطمي، يُناط بصاحبه مسؤولية ضبط الأمن والاستقرار في المناطق التي تُسند إليه سيارتها من الكور والنواحي[٥]، بل ويكشف ذلك الطعن المباشر من معضاد عن إدراك تام من دوائر الحكم أن صاحب السيارة هو المسؤول الأول عن أمن تلك الجهات، وهو

---

(١) نفسه، ص٢٠/ ص٥٠.

(٢) نفسه، ص٢٠/ ص٥٠.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤.

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤.

ما يعكس ضخامة الدور المنوط به، وثقل المكانة التي شغلها **صاحب** هذا المنصب، صحيح أنه لا يمكن التعميم بالقول إن صاحب السيارة كان مسؤولًا عن مجمل أقاليم مصر، إلا أنه على الأقل كان المشرف العسكري الأعلى على ما أُسند إليه من نواحٍ وكور، وهو ما ستُبيّنه مصادر لاحقة بوضوح من خلال تتبع جغرافيا تحركات أصحاب السيارة وتوزيع مهامهم.

جميع الإشارات المتبقية الواردة في المصادر التاريخية تؤكد ما تم ترجيحه سابقًا بشأن الطبيعة العسكرية العليا لوظيفة "صاحب السيارة" في العصر الفاطمي. فمثلًا، يذكر موهوب بن منصور، في سياق ترجمته للبطريرك خرسطوذولوس (البطريرك السادس والستين) أن ناصر الدولة بن حمدان، الذي كان متوليًا لولاية السيارتين، قد أمر بإغلاق جميع البيع (الكنائس) في أسفل الأرض، وذلك في خضم الصراع الدامي بين الجند السودانيين والأتراك [١]، مما يكشف عن مدى اتساع سلطته واستقلاله في اتخاذ القرار، على الرغم من أن الحادثة وقعت في العصر الأول، أي في زمن لا يزال فيه للخلفاء الفاطميين اليد العليا والنفوذ المباشر قبل قدوم بدر الجمالي وبداية العصر الثاني [٢].

وتكتسب هذه الرواية أهميتها من أمرين: أولهما أن ناقلها، وهو موهوب بن منصور، كان شاهد عيان على تلك الفترة، وبالتالي فإن روايته تحمل درجة عالية من الموثوقية؛ وثانيهما أن تصرف ناصر الدولة بن حمدان بسلطة مطلقة في شأن ديني

(١) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٢) نفسه، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

حساس، يكشف عن بلوغ صاحب السيارة مكانة نافذة، تُضاهي أحيانًا نفوذ الخليفة نفسه، خاصة في فترات الاضطراب الداخلي(١).

أما في العصر الفاطمي الثاني، فإن ذكر هذه الوظيفة يقلّ بشكل ملحوظ في المصادر، لا سيما **فيما** يتعلق بالشأن الداخلي المصري. غير أن اسمها يظهر مجددًا في سياق الأحداث العسكرية خارج مصر، خصوصًا في بلاد الشام. حيث أشار كل من ابن القلانسي والمقريزي **إلى** دور صاحب السيارة هناك. ففي حوادث عام ٥٠٤هـ/١١١٠م، يذكر ابن القلانسي أن الاستقرار عاد إلى ناحية عسقلان بعد أن دخلها صاحب السيارة، وذلك بعد فشل والي المدينة في تحقيق الأمن، وهو ما يبرهن على أن هذه الوظيفة استمرت، ولكن في إطار الاستخدام العسكري الميداني خارج مصر، بوصفها أداة لإعادة فرض الانضباط في مناطق النفوذ الفاطمي بالشام (٢).

وعلى ما يبدو، فإن انحسار دور وظيفة صاحب السيارة وتراجع مكانتها في العصر الفاطمي الثاني كان نتيجة مباشرة لبروز منصب "وزير السيف" أو "أمير الجيوش"، الذي احتكر السلطات العسكرية، ولم يكن ليسمح بظهور شخصية عسكرية أخرى قد تنافسه في النفوذ. ولهذا أوكلت هذه الوظيفة إلى بعض الأمراء ذوي المكانة المحدودة مقارنة بمن تولوها في العصر الأول. (٣) وهذا أمر طبيعي إذ لم يكن لوزير السيف أمير الجيوش حينها أن يسمح لبروز وظهور شخصية عسكرية أخرى في وجوده، مما قد يهدد مكانته.

---

(١) نفسه، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١١٧/ص٢٧٥.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٣، ص٥١.

(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١١٧/ص٢٧٥.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٣، ص٥١.

كما أن المبررات التي دعت إلى إنشاء هذه الوظيفة قد زالت بعد "**الشدة العظمى**"[١] ، حيث كان من بعض نتائج هذه الكارثة الكبرى اندثار قرى ونواحٍ كثيرة [٢]، بسبب تراجع فيضان النيل، كنتيجة طبيعية لانتشار المجاعات والأوبئة، ما أفضى أيضا إلى تناقص سكاني واسع [٣].

وعقب انتهاء الشدة، تم تنفيذ روك إداري جديد [٤]، أدى إلى ضم الكور المهجورة إلى أربع ولايات رئيسية شكّلت التقسيم الإداري الجديد لمصر، وكان من أبرز هذه الولايات

---

(١) ***الشدة العظمى (٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٥-١٠٧١م):*** هو مصطلح يُستخدم للدلالة على الأزمة الكبرى التي ضربت مصر سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م واستمرت سبع سنوات حتى سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م، وتسمى كذلك الشدة المستنصرية نسبة للخليفة المستنصر الذى وقعت هذه الشدة فى عهده، وكان سببها انحسار ماء النيل وتوقف فيضانه عن مصر مدة السبع سنوات هذه، مما ألحق أضرارًا جسيمة بجميع مناحي الحياة، سواء على المستوى الشعبي أو السلطوي. فقدت الدولة في هذه الفترة هيبتها، وتفككت السلطة المركزية حتى انفصلت الولايات عنها. ولم تنتهِ هذه الشدة إلا بعد أن استقدم الخليفة المستنصر بالله بدر الدين الجمالي الأرمني، والي عكا، سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، والذي كان لقدومه أثر كبير في استعادة استقرار الدولة، خاصة مع تحسن فيضان النيل ومجهوداته الفعالة في ضبط أحوال البلاد. للمزيد عن ذلك ينظر؛ ابن الصيرفي, الإشارة إلى من نال الوزارة, ص ٨٢-٩٤. المقريزي, اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا, مج.٢، ص ٣٤٧ وما بعدها.؛ المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م، ص٢٤-٢٧.

(٢) أحمد السيد الصاوي: ***مجاعات مصر الفاطمية "أسباب ونتائج"***، دار التضامن، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص١٢٦وما بعدها.

(٣) الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية "أسباب ونتائج"، ص١٢٦وما بعدها.؛ عبير إبراهيم حطب: ***الروك في عصر سلاطين المماليك في مصر***، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنصورة، ٢٠١٠م، ص١٢.

(٤) **الروك:** من المصدر الثلاثي "راكَ" بمعنى مسح الأرض وتقدير مساحتها، وقيل إن اللفظ فارسي معرّب، يُستخدم في السياقات الإدارية للدلالة على عملية تنظيم وتقسيم الأراضي وضبط مواردها، خاصة في فترات إعادة التقييم بعد الأزمات أو التغيرات السكانية. وللمزيد حول معنى "الروك" وتطوره، يمكن

الغربية والشرقية [١]، **اللتان** تولى ولاة كل منهما مهام الأمن والنظام في نطاق واسع، وقد تمتع هؤلاء الولاة بسلطات كبيرة [٢]، وصلت ببعضهم إلى تولي منصب الوزارة، ما جعل من غير الممكن وجود منصب عسكري آخر يمارس دورًا إشرافيًا عليهم كصاحب السيارة، الذي فقد بذلك دوره وأهميته [٣].

وخلاصة القول؛ فإن وظيفة صاحب السيارة عُدت من أهم الوظائف العسكرية الرفيعة في الدولة الفاطمية في عصرها الأول (٣٥٨-٤٦٦هـ / ٩٦٩-١٠٧٣م) [٤]، وقد كان يتولاها كبار قادة الجيش ممن حازوا مكانة بارزة في هرم السلطة [٥]، وأن مقرراته المالية جراء توليته هذه الوظيفة كانت كبيرة [٦]، وتجلّت مهام صاحب السيارة في فرض النظام وضبط الأمن في النواحي الخاضعة لسيارته [٧]، وهي التي تركزت في جل

الرجوع إلى: انظر؛ محمد البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٦٤.؛ عبير على حطب: الروك، ص١١.

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٠.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٠.؛ رحاب جنابة: حكام الاقاليم، ص ٥٦_٦٥.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٠.؛ رحاب جنابة: حكام الاقاليم، ص ٥٦_٦٥.؛ عبير حطب: الروك، ص٢٤.

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧. ؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ٣٢٧-٣٢٨.

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧

(٦) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛

(٧) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.

المصادر في أسفل الأرض حيث قرى الريف الكثيرة المنتشرة على ضفتي فرعي النيل وما بينهما من خلجانٍ وترعٍ [١].

وتُعزى أهمية هذه الوظيفة في هذه المناطق تحديدًا إلى الطبيعة الطبوغرافية والديموغرافية المعقدة[٢]، التي ميزت دلتا النيل في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهو ما جعل من الضروري إسناد مهام الضبط العسكري فيها إلى قادة متمرسين ذوي نفوذ واسع[٣].

ثالثاً: أصول وظيفة صاحب السيارة ومسببات وجودها في العصر الفاطمي.

سبق الذكر أن أول إشارة إلى وظيفة "صاحب السيارة" كانت في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، إلا أنه من غير المعقول أن تكون هذه الوظيفة قد ظهرت فجأة وبشكل كامل في تلك اللحظة فقط[٤]. بل من المرجح أن الوظيفة تبلورت من حيث المسمى لا من حيث المهام، منذ بداية العصر الفاطمي في مصر [٥]، ثم تطورت تدريجيًا طوال

(١) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٢) المُسبحي :أخبار مصر، ص /20ص.50؛ المقريزي :اتعاظ، جـ2، ص /140ص .152_154 ؛ المقفى الكبير، جـ3، ص .317_318؛ الخطط، مج.٤، ص .1087؛ أيمن فؤاد :الدولة الفاطمية، 327-328.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛

(٥) المُسبحي :أخبار مصر، ص /20ص.50؛ المقريزي :اتعاظ، جـ2، ص /140ص .152_154 ؛ المقفى الكبير، جـ3، ص .317_318؛ الخطط، ، مج.٤، ص .1087؛ أيمن فؤاد :الدولة الفاطمية، 327-328.

الحقبة الفاطمية بعصريها، وللفهم العميق لمبررات ظهور هذا المسمى الوظيفي(١)، من الضروري الإشارة إلى أن الفاطميين عند قيام دولتهم في المغرب، لم يكن لديهم تجارب إدارية سابقة (٢)، ولم يكن ذلك نتيجة فقط لانكفائهم عن العمل في إدارات الدول الإسلامية السابقة فحسب(٣)، بل لأنهم لم يكونوا مستعدين لقبول العمل في إدارات دول لا يعترفون بشرعيتها(٤). ومع ذلك، فقد وفر التنظيم الدعوي للفاطميين نوعًا من الخبرة بالتراتيب والتنظيمات الإدارية (٥)، وهي خبرة استعانوا بها لاحقًا عند تبنيهم للنظم الإسلامية السُّنية

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛

(٢) إذ يقول ابن خلدون:" ***كانوا كأهل البادية؛ ليس لها صلة بالملك ولا سياسته ولا نظمه***" للمزيد ينظر؛ ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجة سهيل زكار، دار الفكر، ط٢، بيروت، ٢٠٠١م، جـ١، ص٢٩٨.؛ هوبكنز، ج.ف.ب.، النظم الإسلامية =في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ط١، [ليبيا–تونس]، ١٩٨٠م، ص٤٠؛ ؛ أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م، ص٢١؛

(٣) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية في المغرب "التاريخ السياسي والمؤسسات"، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامية [السلسلة الجامعية]، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص٤١٥.

(٤)محمد حسن العيدروس: حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٠.

(٥)حاتم بن إبراهيم بن حسين بن أبي السعود يعقوب الحامدي الهمداني (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م): تحفة القلوب وفرجة المكروب، أو، كتاب تحفة القلوب: في ترتيب الهداة والدعاة في جزيرة اليمن [دراسة وتحقيق] ، تحقيق: عباس همداني، دار الساقي، ط١، لبنان، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص١–٥.

Sumaiya A. Hamdani: Between Revolution and State: The Path to Fatimid Statehood: Qadi Al-Nu'man and the Construction of Fatimid Legitimacy, I.B. Tauris in association with The Institute of Ismaili Studies, 1st ed., London, 2006, pp. 11–18.

حسن حافظ: الدعوة الإسماعيلية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٢٢م، ص٧٦.

القائمة[١]، لكن بعد أن أضفوا عليها مؤثرات دينية داخلية، وأخرى خارجية ذات طابع بيزنطي. وهذا ما أشار إليه ماريوس كنار [٢] في دراسته حول تأثر المراسيم الفاطمية بالمراسيم البيزنطية، في مقابل الإدارة العباسية السنية التي تأثرت بصورة شبه كاملة بالنظم الفارسية، وعلى ما يبدو أن توجه الفاطميين نحو التأثر بالنموذج البيزنطي لم يكن عفويًا[٣]، بل جاء في سياق رغبتهم في مخالفة التقاليد والمراسيم العباسية القائمة، وإبراز خصوصيتهم السياسية والدينية.[٤].

ومهما يكن من أمر، فإنه في ضوء ما سبق، تُعدّ القدرة على الإضافة والحذف في المناصب والدرجات الإدارية والديوانية من أبرز السمات التي ميّزت النظم الإدارية الفاطمية[٥]، ويكفي دليلاً على ذلك التفاوت الملحوظ في عدد دواوين الدولة واختصاصاتها من عهد خليفة إلى آخر، فضلًا عن استحداث مناصب وظيفية جديدة تتلاءم مع الطبيعة الدينية الخاصة للدولة الإمامية [٦].

---

(١)ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له: أيمن فؤاد سيد، دار النشر فرانتس شتاينر، ط١، مصر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص٢٩٠. ؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، ط١، مصر، ج٣، ص٤٧٢ وما بعدها.؛ ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم ، ج١، ص١.

(2)Canard, M.: Le cérémonial fatimide, pp. 355

(3) Canard, M.: Le cérémonial fatimide, pp. 355

(4) op. cit., 355.

(٥) عهدة الخليفة الحاكم بأمر الله وغيرها من العهود التي منحت لنصارى دير سانت كاترين، نشرها أحمد رمضان، حولية هيئة الآثار المصرية (البحوث والوثائق الإسلامية)، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٢_٢٣/ص٣١ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣، ٤٨٩.؛ عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص٧٩/ ص٩٥.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٠، ص٣٤١_٣٤٢..؛ محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية "الفاطميون"، الأهلية للنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص١٦٦ وما بعدها.؛ **فؤاد:** الدولة الفاطمية، ،

ومن هذا المنطلق، وبالإضافة إلى الرصد اللغوي السابق، يمكن القول إن وظيفة السيارة كانت من المستحدثات في مصر في العصر الفاطمي [١]، إذ لم يكن قبل ذلك العصر مسمى متطابق أو مشابه لهذه الوظيفة[٢]، ومع ذلك، من المهم أن نلاحظ أن هذا يخص المسمى فقط، أما المهام فهناك وظائف عسكرية في مصر قبل العصر الفاطمي تطابقت مع مهام هذه الوظيفة، ويشمل ذلك ليس فقط الغرض والمسؤولية، بل أيضاً البعد الجهوي والجغرافي للوظيفة نفسها، ويقصد بذلك أن صاحب الوظيفة يُناط به حماية وفرض الأمن في مناطق محددة بعينها، كما هو الحال في وظيفة صاحب السيارة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، في العصر الطولوني، يورد البِلَوي[٣] نصًا ذا أهمية بالغة، يقول فيه: ***(حدث ابن قراطغان قال: وجه أحمد بن طولون بقائد من جملة قواده إلى بعض الأرياف في حمل مال ، وإصلاح حال ، فلما أقام القائد بالناحية التي نزلها وفرغ مما يحتاج إليه أقبل إليه بعض أقباط الضيعة)*** [٤].

ص٢٥٥. حاتم المحاميد: التطورات في نظم الحكم والإدارة في مصر الفاطمية، مطبعة أسيل، ط١، القدس – فلسطين، ٢٠٠١م، ص١٩–٢٠. سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤٧. أيمن فؤاد سيد: تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين، مجلة حوليات إسلامية، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ع٢٤، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٨.

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠، ص٥٠. المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١٤٠، ص١٥٢–١٥٤. ؛ المقفى الكبير، ج٣، ص٣١٧–٣١٨. ؛ الخطط، مج٤، ص١٠٨٧. أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص٣٢٧–٣٢٨.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج2، ص /140ص .154_152؛ المقفى الكبير ج3، ص .317_318؛ الخطط، مج.٤ ص1087.

(٣) البِلَوي (ت كان حيًا حتى منتصف القرن الرابع الهجري): ***<u>سيرة ابن طولون</u>***، تحقيق محمد كرد على، دار الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، د.ت، ص١٨١وما يليها.؛؛ أبوالمحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٣، ص١ومابعدها.

(٤) البلوي: سيرة ابن طولون، ص١٨١.

تتمتع هذه الرواية بأهمية قصوى، إذ يبدو أن البلوي يشير إلى مهام مشابهة تمامًا لمهام صاحب السيارة في العصر الفاطمي. فهو يتولى مسؤولية الأمن في الريف، الذي كان يُعرف بأسفل الأرض، ينفذ مهامًا موسمية في مواعيد محددة، إلى جانب مهام توكل إليه من قبل السلطة ، وهذا يكاد يكون مطابقًا تقريبًا لمهام وظيفة صاحب السيارة كما عُرفت في العصر الفاطمي.

بل والأكثر تطابقاً أن هناك رواية مشابهة في العصر الفاطمي، يذكرها موهوب بن منصور[١] أيضا في سيرة البطريرك خرسطودلوس (خرسطوذولوس) [٢]، وقعت في **وزارة** اليازوري[٣]، تفيد بأن اليازوري أرسل صاحب سيارة أسفل الأرض، الذى لم يصرح ابن منصور باسمه، واكتفى بذكر لقبه حينها، وهو عضد الدولة إلى البطريرك خرسطودولس، حتى يقضى منه رسم الترسيم أو القبض عليه حال عدم دفعه، فأوكل عضد الدولة إلى أحد رجاله، الذى يسمى دُري القيام بهذا الأمر [٤].

وعند تدقيق روايتي البلوي وموهوب بن منصور، يتبين التشابه الكبير بينهما، والاختلاف الوحيد هو أن مسمى الوظيفة لم يُذكر في رواية البلوي. أما من حيث المهام،

---

(١) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٢) نفسه، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٣) ***اليازوري:*** هو الوزير أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري؛ من أجل وزراء الفاطميين، وأصله من بلدة يازور من أعمال فلسطين. كان يولي قضاءها وعُزل عنه، فانتقل إلى مصر لغرض السعي للعودة إلى وظيفته؛ على أنه استقر بها وخدم الفاطميين فيها، حتى التحق بديوان السيدة رصد بتزكية من رفق الخادم، أحد الأساتذة المحنكين. وما أن تمت توليته الديوان حتى بروز اسمه كأحد أهم رجال الدولة، مما أثار حنق كبار أرباب الوظائف عليه، على أنه نجح في التخلص من مكائدهم، وخلص له منصب الوزارة بنهاية المطاف، بعدما تمت له السيطرة على ديوان السيدة رصد، والدة الخليفة. للمزيد راجع؛ ابن الصيرفي: الإشارة، ص٧٣_٧٥.؛ المقريزى: اتعاظ، جـ٢، ص١٩٥_١٩٧.

(٤) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

فهما متطابقتان إلى حد كبير، حيث تتصف الوظيفة بالطابع العسكري، وتركز على تنفيذ أوامر السلطة المركزية وضمان هيبتها في منطقة أسفل الأرض.

وبناء على ما سبق، يمكننا القول إن هذه الوظيفة تعود جذورها إلى ما قبل العصر الفاطمي، وأن الفاطميين حينما اعتمدوها صبغوها بصبغتهم الخاصة وأطلقوا على من يتولاها لقب "صاحب السيارة" [١]، كان لهذا الاعتماد الفاطمي أصول تاريخية متجذرة في النظام الإداري الفاطمي، الذي تأثر بتوجهات شيعية إمامية إسماعيلية [٢]، تمجد الإمام وتمنحه قداسة كبيرة. لذا، كانت قيادة الخلفاء والأئمة للجيوش أمراً نادراً في السياقات الفاطمية، حتى في العصر الأول [٣]، وما قبله في الطور المغربي للدولة الفاطمية[٤]، رغم أنه عصر خلفاء أقوياء. ومع ذلك، كان من المعتاد أن ينتدبوا من ينوب عنهم في

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠، ص٥٠. المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠، ص١٥٢-١٥٤. المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧-٣١٨. المقريزي: الخطط، جـ٤، ص١٠٨٧. أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٢) ابن حيون (ت:٣٦٣هـ/٩٧٤م): ***دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام***، تحقيق آصف على أصغر فيضي، دار المعارف، ط١، تونس، ١٩٦٣م، ج١، ص٣٥٠. الداعي اليماني، علي بن الوليد (ت:٦١٢هـ/١٢١٥م): ***تاج العقائد ومعدن الفوائد***، تحقيق عارف تامر، مؤسسة عزالدين، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م، ص٧٦. محمد كامل حسين: ***طائفة الإسماعيلية "تاريخها . نظمها . عقائدها"***، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٦-١٧. فرهاد دفترى: ***الإسماعيليون "تاريخهم وعقائدهم***"، دار الساقي بالإشتراك مع المعهد الإسماعيلي بلندن، ط١، بيروت، ٢٠١٢م، ص٨٥ وما بعدها. ***معجم تاريخ الإسماعيلية***، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي بالإشتراك مع المعهد الإسماعيلي، ط١، بيروت، ٢٠١٦م، ص١٤٤-١٤٥.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٠١-١٠٢.

(٤) ابن حيون (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م): ***المجالس والمسايرات***، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرون، دار المنتظر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٥٩.

قيادة الجيوش، مثل حباسة بن يوسف في عهد المهدي والقائم [١]، وجوهر الصقلي في حالة المعز [٢]، ويمكن إيعاز ذلك لرغبة في التحوط والاحتياط، حيث كان الأئمة يتجنبون قيادة الجيوش بأنفسهم للحفاظ على مكانتهم وصورتهم أمام أتباعهم وأعدائهم على حد سواء، وبخاصة في حالة الهزيمة، التي قد تضعف الهالة القدسية التي كانت الدعوة تنسبها لهم[٣]، ومن ثم التشكيك في عصمتهم والدعم الإلهي المزعوم لهم على ألسنة هؤلاء الدعاة[٤].

ومن ثم، جرت العادة أن يُكلَّف القادة بتنفيذ المهمات العسكرية، وهو ما يُفسّر بوضوح سبب إقرار وظيفة "صاحب السيارة" في العصر الفاطمي، إذ كان النظام الإداري

---

(١) الجوذري (ت بعد ٣٨٦هـ/٩٩٦م): ***سيرة الأستاذ جوذر "وبه توقيعات الأئمة الفاطميين"***، تحقيق محمد كامل حسين / محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٠٨.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٠١-١٠٢.

(٣) حاتم بن إبراهيم: تحفة القلوب، ص١-٥. ؛ حسن حافظ: الدعوة الإسماعيلية في مصر، ص٧٦.
Sumaiya A. Hamdani: Between Revolution and State, pp. 11–18.

(٤) منذ تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب في أواخر سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م وأوائل ٢٩٨هـ / ٩١٠م، درج أئمتها – وهم أصحاب الطاعة الواجبة وفقا مذهبهم – على تفويض غيرهم للقيام بالمهام العسكرية، إذ لم يثبت عن خلفائهم أنهم خرجوا بأنفسهم على رأس الجيوش، باستثناء حالات نادرة، منها: القائم بأمر الله محمد حينما كان وليًّا للعهد، والمنصور إسماعيل خلال مواجهته لثورة الزناتيين، وكذلك العزيز بالله في مصر عندما همَّ بالخروج بنفسه لملاقاة الأتراك في دمشق، إلا أن أجله أدركه في بلبيس بأعمال الشرقية قبل تنفيذ ذلك العزم، فلم يتحقق خروجه؛ للمزيد انظر؛ ابن حيون المغربي (أبو حنيفة النعمان ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م): افتتاح الدعوة. تحقيق: فرحات الدشراوي. ط١، تونس: الشركة التونسية للنشر، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٣٢٥-٣٢٦.؛ حاتم بن إبراهيم: تحفة القلوب، ص١-٥.؛ ابن عذاري (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، جـ١، ص١٦٠-١٦١.
Sumaiya A. Hamdani: Between Revolution and State, pp. 11–18.

الفاطمي مهيَّأً بطبيعته لاستيعاب مثل هذه الوظيفة. والدليل البارز على ذلك هو ما نجده من إشارة وحيدة إلى لفظ "السيارة" في الطور المغاربي للدولة الفاطمية، وردت في رسالة افتتاح الدعوة للقاضي ابن حيون، حيث قال: ***"ولما استقرَّ أبو عبد الله برقادة أمر مناديًا، فنادى بالقيروان بالأمان العام للعامَّة، ورجوع من كان تنحَّى عن وطنه إليه، فرجع الناس إلى أوطانهم وقرُّوا في قرارهم. وأخرج العُمَّال إلى البُلدان، ونادى فيها بالأمان، وبطلب أهل الدَّعارة والفساد، فأنْكَلَ بهم عقوبةً، فسكنت الدَّهماء، وأَمِنَت السُّبُل، ومَشَتِ السَّيَّارة، وخاف أهل الأذى والدَّعارة، وقُتِلوا حيثما ثُوقِفوا وطُلِبوا أينما توجهوا.*** [١]"

وقد جاءت هذه الرواية في سياق سيطرة الداعي أبي عبد الله الشيعي الصنعاني[٢] على الأمور في المغرب، تمهيدًا لإعلان قيام الدولة الفاطمية. غير أن النص يطرح تساؤلاً حول مقصود ابن حيون بـ"مشت السيارة"، فهل أراد بها الفرق العسكرية المكلفة بتمشيط النواحي وملاحقة مثيري الاضطرابات المصاحبة لقيام الدولة الجديدة؟ أم كان يقصد "القوافل"، باعتبار أن من معاني السيارة القوافل كما سبق بيانه؟

---

(١) ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص٢٤٦.

(٢) أبو عبدالله الشيعي الصنعناني، الداعي الذي على يده قامت دولة الفاطميين في المغرب سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م، وقد كان قبل ذلك مبعوثاً من قبل الداعي ابن حوشب _داعي الإسماعيلين في اليمن_ لأرض المغرب، فأخذ يمهد فيها أركان دولة الفاطميين فى المغرب، حتى أنه استطاع من خلال نشاطه الحثيث أن يوطد دعائم الدعوة الإسماعيلية هنالك، ويُهيئ الأوضاع السياسية والعسكرية لقيام الدولة الفاطمية، وما إن استقرت له الأمور حتى أرسل إلى المهدي، الذى كان حينها فى قرية سلمية من أعمال الشام، لدعوته إلى القدوم إلى المغرب لتسلم زمام الحكم، إذ بات الطريق ممهّدًا بفضل ما بذله من جهود واسعة.وللمزيد عنه راجع؛ ابن حيون المغربي: افتتاح الدعوة، ص٣٠ومابعدها. ؛ المقريزي: المقفي الكبير، ص٢٧٢_٢٧٨.؛ علي حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٦-٣٠.

ومهما يكن القصد، فإن هذه الإشارة تبقى دليلاً قويًا يُعزز ما سبق ترجيحه من أن النظام الفاطمي في مصر، باستيعابه للنظم الإدارية السابقة على قيام الدولة الفاطمية في مصر، إلى جانب تأثيراته المغاربية المبكرة، كان مهيئًا لتبني هذه الوظيفة وإقرارها في بنيته الإدارية.

رابعاً: الفئات التي يختار من بينهم متولي هذه الوظيفة وتقسيماتها الإدارية.

أ- فئات من تولوا هذه الوظيفة ورتبهم وكناهم

نظرًا للمكانة الرفيعة التي حظيت بها وظيفة صاحب السيارة، لا سيما في العصر الفاطمي الأول، فقد كان يُختار لتوليها أبرز القادة العسكريين في الدولة. وبما أنها وظيفة ذات طابع عسكري خالص، فلم تذكر المصادر أن أحدًا من أصحاب الأقلام أو الموظفين الإداريين قد شغلها. ويؤكد ذلك ما قام به الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م [١] حين أسند هذه الوظيفة إلى ذي الرئاستين علي بن جعفر بن فلاح [٢]، إلى جانب توليه قيادة الجيش ومنصب الوزارة. وقد كان علي بن جعفر من كبار القادة العسكريين في عهدي الحاكم والعزيز من قبله [٣]، قد ورث مكانته عن والده جعفر بن فلاح، القائد الشهير الذي فتح الشام للفاطميين [٤].

---

(١) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٣.

(٢)<u>**القائد علي بن جعفر:**</u> هو ابن القائد البارز جعفر بن فلاح الكتامي، أحد أعلام الفتح الفاطمي للشام، اكتسب مكانته من دور أبيه، فكان من المقربين من الخلفاء، إذ حظي بمكانة مرموقة في بلاط الخليفة العزيز بالله، ثم في عهد ابنه الحاكم بأمر الله، الذي أولاّه ثقته فعينه وزيرًا، تقديرًا لكفاءته ومكانته بين كبار رجالات الدولة. غير أن وزارته لم تدم طويلًا، إذ انتهت بقتله في سياق صراعات السلطة التي اتسم بها عهد الحاكم. للمزيد، يُنظر: ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٣.

(٣) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٣.

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

ويذكر المسبحي – وينقل عنه المقريزي – أن من بين من تولوا هذه الوظيفة القائد رِفْق الخادم [١]، الملقب بـ"عدة الدولة وعمادها"، وكان من كبار قادة الدولة. ويُرجَّح أنه كان من القادة المحنَّكين، إذ جرت العادة في العصر الفاطمي على تلقيب هذه الفئة بـ"الخادم" أو "القائد" أو "الأستاذ". ومن المعروف أن المحنَّكين كانوا من أرفع طبقات قادة الدولة شأنًا ومقامًا [٢]، وما يهم فيما ذكره المُسبحي والمقريزى، أنه يدل – بطبيعة الحال – على عِظَم مكانة هذه الوظيفة، من خلال عظم الأفراد الذين يتولونها.

وفى هذا الصدد كذلك، يأتي ما يرويه موهوب بن منصور من أسماء لبعضٍ ممن تولوا وظيفة السيارة في الفترة التي أرخ لها، ليدل على أنهم كانوا من أكابر القادة العسكريين في الدولة، فهذا عضد الدولة[٣] الذى لم يذكر غير لقبه، وكان قد أنفذ لبطريرك الكنيسة، يعد من أكابر قادة الدولة، ثم يذكر متوليا آخر وهو ناصر الدولة الحسين بن حمدان[٤] الذي كان قائد جيش الدولة حينها، والذى كان قد وصل من عظم السلطة النفوذ، ما خول له أن يضيق على الخليفة المستنصر نفسه[٥].

كذلك يعتبر من المؤشرات الدالة على علو مكانة من تولّوا وظيفة صاحب السيّارة، ما يُستتشفّ من كُناهم وألقابهم، إذ يُلاحظ أن شاغلي هذه الوظيفة كانوا غالبًا يُكنَّون

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤.

(٢) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(٣) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣.

(٤) نفسه، ص ٧٣٦.

(٥) نفسه، ص ٧٣٦.

بألقاب تنتهي بلفظ "الدولة"[١]، وهو ما يُعدّ دلالة أخرى صريحة على انتمائهم إلى طبقة كبار الأمراء والقادة العسكريين[٢].

إذ أن هذا يتماشى مع التقاليد المعهودة في السياق الإسلامي الوسيط[٣]، حيث تُنسب ألقاب الخلفاء إلى الله (كالمستنصر بالله) ، وألقاب القضاة إلى الدين (كناصر الدين) ، وألقاب القادة العسكريين إلى الدولة[٤]، وألقاب الكتّاب وأرباب القلم إلى الملك (سناءُ المُلك) [٥].

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.؛ محمد حسين محاسنة ؛ محمد سالم الطراونة (في الهامش يكتفى بذكر أحدهما ثم نقوم بإثبات المؤلفين كليهما في قائمة المصادر المراجع) " :الألقاب الفاطمية"، مجلة دراسات – الأردن: العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. ٣٠، ع. ٢، ٢٠٠٣م، ص ٢٨١، ص٢٨٩.

(٢) محاسنة ؛ الطراونة، "الألقاب الفاطمية"، ص ٢٨١، ص٨٨، ص٢٨٩.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ط١، القاهرة، الدار الفنية للنشر، ١٩٨٩م، ص١١، ص٥٩ وما بعدها. ؛ محاسنة ؛ الطراونة، "الألقاب الفاطمية"، ص٢٨٨

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٩٢–١١٤. ؛ محاسنة ؛ الطراونة، "الألقاب الفاطمية"، ص ٢٨١، ص٨٨، ص٢٨٩.

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٩٢–١١٤. ؛ محاسنة ؛ الطراونة، "الألقاب الفاطمية"، ص ٢٨١، ص٨٨، ص٢٨٩.

أما عن ألقاب من تولوا هذه الوظيفة فقد حملوا ألقابًا عديدة، مثل: قطب الدولة[١]، رفق الدولة[٢]، سَنِيّ الدولة [٣]، شَهْم الدولة [٤]، عَصَب الدولة[٥]، عضُد الدولة [٦]، وناصر الدولة[٧]، ومن ألقاب من كلفوا بأداء مهام فرعية داخل هذه الوظيفة لم يرد إلا لقب واحد هو لقب دُري الدولة[٨]، وكلها في الحقيقة ألقاب تدل إن دلت على الرفعة العسكرية والمكانة السياسية التي حازها أصحابها ضمن هيكل الدولة الفاطمية.

أما فيما يخص الخلع التي كانت تُمنح لمن يُولّى هذه الوظيفة، فالراجح أنها كانت تتميز بالعظمة والأبّهة، بما يعكس ما حظيت به من مكانة رفيعة في الدولة، والإشارات الواردة حيال ذلك قليلة، ولكنها إشارات تنم عن مكان ومكانة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ما جرى عند تولية سَنِيّ الدولة ابن أخي التاهرتي إدارة سيارات أسفل الأرض خلفًا لرِفْق الخادم [٩]، حيث أمر الخليفة الظاهر أن تُمنح له خِلعة متميزة، اشتملت على: فرس بسرجٍ مُصفَّحٍ مغموس، وعمامة صغرى مذهّبة، وثوب طَميم [١٠]، وتُبرز هذه الخِلعة الرمزية الرسمية التي أحاطت بهذه الوظيفة، وما ارتبط بها من هيبة ومكانة مرموقة في البلاط الفاطمي.

---

(١) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٣.
(٢) المُسبحي، أخبار، ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.
(٣) المُسبحي، أخبار، ص٥٠.
(٤) موهوب بن منصور: سير البيعة، ص٧٣٣.
(٥) نفسه، ص٧٣٣.
(٦) نفسه، ص٧٣٦
(٧) نفسه، ٧٣٦.
(٨) نفسه، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.
(٩) المُسبحي، أخبار، ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣.
(١٠) المُسبحي، أخبار، ص٥٠. ؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣.

علاوة على ما سبق، فقد كان من يتولى وظيفة السيّارة يُعامل عند وفاته بما يليق بمقامه من مراسم دفن رسمية تُشبه تلك التي تُقام لكبار رجال الدولة في العصر الفاطمي، ويُدفن في مدفن عظيم يكون قد أنشأه لنفسه في حياته. ويذكر المقريزي[١] في حوادث سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٤م ما نصه: "***فيها تُوفي شهم الدولة ميمون، صاحب السيّارة في أسفل الأرض، في شهر ربيع الآخر، وحُمِل إلى مصر، فوصلوا به يوم الثلاثاء تاسعه، ودُفن بتربته بالقرافة***"[٢].

وعلى ذكر شهم الدولة ميمون[٣]؛ في سياق الدلالة على مكانة صاحب السيّارة في الدولة الفاطمية، لا يمكن الاكتفاء بما ورد بشأن مراسم دفنه الجليلة، دون التوقف عند مسألة أخرى بالغة الدلالة، وهي تكليفه بقيادة ركب الحج الفاطمي[٤].

إذ يذكر المقريزي في الرواية السابق ذكرها أن شهم الدولة ميمون قد انتدبته الدولة الفاطمية ليكون قائدًا لركاب الحج الفاطمي سنة 426هـ / 1035م [٥]، وهو منصب لا يُسند – كما هو معلوم – إلا إلى أحد كبار رجال الدولة[٦]، نظرًا لما كانت ولاية ركب الحاج تمثّله من ثقل سياسي ومكانة اجتماعية، فضلاً عن رمزية دينية عالية في سياق الشرعية الفاطمية. [٧].

---

(١) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٢) نفسه، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٣) نفسه، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٤) نفسه، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٥) نفسه، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٦) محمد أحمد أحمد إبراهيم: "***رحلة الحج في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٩-١١٧١م)***"، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب – جامعة القاهرة، قسم التاريخ، ٢٠١٧م، ع. ٥١، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٧) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ٢٤٦.

وللرواية جانب ثالث، إلى جانب ما تقدّم من دلالات على المكانة الإدارية والعسكرية لمتولي وظيفة صاحب السيّارة، يتمثل في البُعد الاجتماعي والإنساني لبعضهم. فقد شارك عدد من هؤلاء القادة في أعمال خيرية تجاه عامة الناس في عصرهم، كما يُشير المقريزي إلى ذلك صراحةً في وصفه لشهم الدولة ميمون [١]، إذ قال عنه: ***"كان من أهل الخير"*** ، وتُعدّ هذه الإشارة دليلاً على أن وظيفة صاحب السيّارة لم تكن حكرًا على المهام الإدارية أو العسكرية فحسب، بل امتدت لتشمل دورًا مجتمعيًا لبعض متوليها، يعكس ارتباط هؤلاء القادة بالناس وحرصهم على تقديم العون والمساعدة، وهو ما يُضفي بُعدًا أخلاقيًا وإنسانيًا على الوظيفة داخل هيكل الدولة الفاطمي [٢].

ب_ التقسيمات الجغرافية والإدارية لوظيفة صاحب السيارة.

قد يُتوهم – لكثرة ورود مصطلح "سيّارة أسفل الأرض" في المصادر التاريخية التي تناولت هذه الوظيفة (٣) – أن وجود هذا التحديد المكاني يستدعي بشكل بديهي وجود "سيّارة أعلى الأرض" في مناطق الصعيد، غير أن الحقيقة، ووفقًا لما يتوافر من أدلة مصدرية مباشرة(٤)، لم تذكر إشارة صريحة أو موثقة إلى وجود ما يمكن تسميته بـ "سيّارة أعلى الأرض". وعلى الرغم من ذهاب الدكتور أيمن فؤاد سيد إلى احتمال وجود السيّارة بأعلى الأرض(الصعيد)(٥)، إلا أن الباحث لم يعثر على ما يُعزّز أو يدعم هذه

(١) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٢) نفسه، مج.٢، ص ٢٤٦.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(٤) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(٥) أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص٣٢٧–٣٢٩.

الفرضية نصيًّا، والراجح – في ضوء ما توفر من شواهد – أن وظيفة السيّارة اقتصرت على منطقة أسفل الأرض فقط، دون ما يدل على امتدادها إلى الأعلى أو إلى نطاق إداري موازٍ في الصعيد(١).

ولعلّ أوضح دليل على اقتصار وظيفة "صاحب السيّارة" على أسفل الأرض، ما ترويه المصادر عن حادثة ذكرها المقريزي نقلًا عن المسبحي، الذي كان معاصرًا لهذه الوظيفة وشاهدًا على تعاقب أجيال ممن تولوها ففي أحداث المحرم لسنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، يقول المسبحي ***"ولثلاث بقين منه، ورد من أهل الريف زيادة على خمسة آلاف رجل فارّين من عدة الدولة وعمادها، رِفْق الخادم، متولّي السيّارة بأسفل الأرض لعسفه. وبعث حيدرة بن نقيّان، متولّي الصعيد، يطلب عسكرًا، فسيّر إليه خلق من العبيد، والباطلية، والبرقية، وغيرهم"*** [٢].

يُظهر النص تمييزًا واضحًا بين "متولي السيّارة بأسفل الأرض" و"متولي الصعيد"، الأمر الذي يُضعف أي احتمال بأن حيدرة بن نقيّان كان يتولى السيّارة في الصعيد [٣]، فلو كان كذلك، لقال المسبحي ثم المقريزي: "متولي السيّارة بأعلى الأرض" أو "متولي السيّارة بالصعيد"[٤]، لكن كليهما استخدم عبارة "متولي الصعيد"، وهي تسمية إدارية مغايرة لمصطلح "صاحب السيّارة، ورغم أن الوظيفتين قد تتقاطعان في بعض المهام الإدارية أو

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(٢) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٣) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٤) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

الأمنية[١]، فإن ما يجب التأكيد عليه هو البُعد الجغرافي في تنظيم الوظيفة، حيث تشير الأدلة المتاحة إلى أن وظيفة السيّارة ارتبطت بأسفل الأرض تحديدًا، ولم يُثبت نصًّا امتدادها إلى الصعيد الأعلى.

بل إن المقريزي، رغم عودته في الخطط للإشارة إلى وجود أمير مكلّف بالصعيد يتولى مراقبة أوضاعه والتصدي للخارجين عليه، وبكنه لم يلقّبه في أي موضع بـ"صاحب السيّارة"، وإنما استخدم على الدوام لقب "أمير الصعيد[٢]"، وهذا الاستخدام المتّسق للمصطلحات الإدارية يُرجّح أن وظيفة السيّارة كانت محصورة بمنطقة أسفل الأرض، دون وجود تقسيم تنظيمي مماثل لها في الصعيد الأعلى[٣]، ويُؤكّد أن التمييز الجغرافي كان أمرًا معتمدًا في توزيع الوظائف الإدارية في العصر الفاطمي.

أضف إلى ما سبق، أن هناك إشارة وردت في كتاب سير البيعة المقدسة تدعم الرأي القائل بأن وظيفة "السيارة" كانت مقتصرة على أسفل الأرض (أي الريف) فقط، إذ يذكر منصور بن موهوب [٤] في سياق حديثه عن أحداث سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م [٥] ما نصه ***"وكان ناصر الدولة بن حمدان المتولي السيارتين بالريف، الشرقية والغربية."***، ويمثل هذا النص دليلاً ذا أهمية كبيرة، إذ أن تعبير "السيارتين بالريف" يعد تصريحًا

---

(١) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٢) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧. ؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٣) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧. ؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٤) موهوب بن منصور: سير البيعة، ص٧٣٦

(٥) نفسه، ص٧٣٦.

صريحًا قاطعًا بحصر هذه الوظيفة في الريف بشقيه الشرقي والغربي[١]، دون أن يتعدى ذلك إلى مناطق الصعيد (أعلى الأرض)، ومن ثم، لا يصح الاستنتاج بأن وجود "السيارة" في الريف كان يستلزم بالضرورة وجودها في الصعيد، بل إن الرواية المعاصرة تؤكد أن السيارتين كانتا في الريف فقط[٢].

وتزداد أهمية الرواية السابقة من كون كاتبها، موهوب بن منصور، كان شاهدًا ومعاصرًا للأحداث التي يرويها، مما يضفي على روايته طابعًا من الأصالة والموثوقية،. ويُضاف إلى ذلك ما هو معروف عن قبط مصر من الأرثوذكس اليعاقبة من خبرة فائقة في معرفة تنظيم الأراضي وتقسيمها وما يتعلق بها من وظائف[٣]، وهي خبرة طالما استفاد منها الجهاز الإداري في الدولة، ولا سيما في العصر الفاطمي، حيث تم الاعتماد عليهم بشكل لافت في هذا الشأن.

أما عن تبرير هذا التخصيص لوظيفة السيّارة في أسفل الأرض دون الصعيد، فيمكن إرجاعه لعدّة عوامل؛ من أبرزها كثرة القرى والنواحي في تلك المنطقة، وتقاربها

---

(١) نفسه، ص٧٣٦.

(٢) يُؤرخ مؤرخو سِيَر البيعة المقدسة أحداثهم وفقًا للتقويم الكنسي الأرثوذكسي الذي يبدأ من عام ٢٨٤م، وهو المعروف بـ تقويم الشهداء (ش)، ونادرًا ما يُستخدم التاريخ الهجري إلى جانب تقويم الشهداء، لا سيما في الفترات المبكرة من التاريخ الإسلامي. على سبيل المثال، في الحادث المذكور، يؤرخ المؤرخ القبطي الحدث بسنة ٧٧٣ للشهداء(ش)، وهو ما يعادل سنة ١٠٥٧ ميلادية(م)، ويقابل عام ٤٤٩ هجريًا(هـ).للمزيد انظر؛ موهوب بن منصور: سير البيعة، ص٧٣٦.

(٣) موهوب بن منصور: سير البيعة، ص٧٣٦ ؛ سلام شافعي محمود: ***أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول***، سلسلة تاريخ المصريين (٧٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ص٢٨.؛ ***أهل الذمة في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي***، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٢.؛ مارك كوهين: ***المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى***، ترجمة نسرين مرار وآخر، مكتبة لقاء، ط١، فلسطين المحتلة، ١٩٨٧م، ص١٧–١٩.

الجغرافي[١]، مقارنة بما هو عليه الحال في الصعيد الأعلى الذي تتباعد فيه القرى وتتفاوت تضاريسه. يُضاف إلى ذلك ما سجّلته المصادر من تكرار الاضطرابات والفوضى في قرى أسفل الأرض منذ الفتح الإسلامي[٢].

علاوة على أن موقع قرى الريف بأسفل القريب من القاهرة[٣]، قد شكل عاملًا مزدوج التأثير، من جهة، كان هذا القرب سببًا مباشرًا في تعرّض العاصمة لتداعيات أي اضطرابات تقع في المناطق الريفية، الأمر الذي كان ينعكس سلبًا على استقرار الحكم ويُقلق شؤون الإدارة المركزية[٤]، ومن جهة أخرى، أتاح هذا القرب للسلطة المركزية في القاهرة فرصة استراتيجية لتسيير حملات عسكرية وإدارية دورية، تأقرب لما يسمى

(١) محمد محمود علي أبو زيد: ***الريف المصري في العصر الإسلامي: دراسة اقتصادية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي***، ط١، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٥.؛ حنان إسماعيل محمد صالح البارودي: "***الجغرافيا التاريخية لغرب دلتا النيل في مصر في العصور الوسطى (من القرن الأول إلى العاشر الهجري)***"، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب – جامعة القاهرة)، ٢٠٠٥م، ص٣٢.

(٢) ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م): ***رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري في عهد الخليفتين المأمون والمعتصم***، جمعها وحققها وعلّق حواشيها: تيسير خلف، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٦٣. ؛ .؛ عبد الحميد حسين حمودة: ***الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي***، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٦/ ص٣٠ وما بعدها.

(٣) سلام شافعي محمود: ***مدن وقرى القليوبية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي: دراسة في التطور الإداري والنشاط الاقتصادي***، مجلة الآداب، جامعة المنصورة، ع٢٦، ٢٠٠٠م، جـ١، ص١٦-٢١.

(٤) محمد بركات البيلي: ***الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية***، مكتبة نهضة الشرق، ط١ ،القاهرة، ١٩٨٦م ، ص٢٧وما بعدها.؛ عبد الحميد حسين حمودة: الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي، ص٢٦/ ص٣٠ وما بعدها. ؛ أبو زيد: الريف المصري ، ص٣٥.

بالتجريدات العسكرية ولكن المستمرة، وذلك إلى مناطق الريف بهدف إعادة ضبط الأوضاع وفرض النظام، ثم العودة إلى مركز الحكم القريب بالقاهرة.

وعلى العكس كان الصعيد، الذى خلق بُعده الجغرافي واتساع امتداده، فضلًا عن تعذر الوصول إليه بسرعة، حاجة ماسة إلى وجود سلطة دائمة وممثلة للدولة فيه، لا تقتصر على حملات مؤقتة كتلك التي يقودها صاحب السيارة فى الدلتا وأسفل الأرض، ومن هنا، لم يصير متولاه صاحب سيارة كما في الريف، بل أُسندت مسؤولياته إلى "الوالي" سماه المقريزى أمير الصعيد، والذي يُقيم إقامة دائمة في الإقليم، ويتولى إدارة شؤونه وضبط أوضاعه بشكل مستمر [١].

هذا عن التقسيمات الخارجية للوظيفة، أما فيما يتعلق بالتقسيمات الداخلية لهذه الوظيفة، فقد قُسّمت في الريف إلى سيارتين رئيسيتين [٢] ، أوجبتهما الطبيعة الجغرافية

---

(١) المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(٢) الحَوْفُ: بفتح الحاء وسكون الواو وفتح الفاء، وردت له معانٍ متعددة في اللغة. فقد ذكر أبو منصور الأزهري أن الحوف تعني القِرْبَة (بكسر القاف وفتح الراء وسكون الباء الموحدة)، وجمعها أحواف. كما أشار إلى أن "الحوف" في لغة أهل الشِّحر يُطلق على شيء يشبه الهودج. وورد في رواية أخرى أنه إزار من أَدَمٍ يلبسه الصبيان، وجمعه كذلك "أحواف". أما في مصر، فيوجد حوفان: أحدهما شرقي، والآخر غربي، وهما متصلان من الناحية الجغرافية؛ حيث يبدأ الحوف الشرقي من جهة الشام، بينما ينتهي الحوف الغربي قرب دمياط، ويشتمل كل منهما على العديد من البلدان والقرى. وفي الاصطلاح الجغرافي-التاريخي، يُستخدم مصطلح الحوف للدلالة على الفاصل أو المحدد لشيءٍ ما، وذلك نظراً لكون كل من الحوفين – الشرقي والغربي – محددًا بأحد فرعي النيل: فالحوف الشرقي يُحد بفرع دمياط، بينما الحوف الغربي يُحد بفرع رشيد.. للمزيد انظر؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): ***معجم البلدان***، تحقيق: فؤاد عبد الحميد، دار صادر، ط٢، بيروت، ج٢، ص٣٢٢. ؛ عبد العال عبد المنعم الشامي: ***مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي***، الجمعية الجغرافية الكويتية، ط١، الكويت، ١٩٨١م. ص٤١.

لتقسيم أرض الريف، حيث كان يُعرف بـ الحوف الشرقي [١] والحوف الغربي [٢]. وعلى هذا الأساس، تم تقسيم الوظيفة إلى السيارة الغربية، وتشير إلى منطقة الحوف الغربي، والسيارة الشرقية، ويُراد بها الحوف الشرقي.

ولا تفيد المصادر المتوفرة بتحديد دقيق لنطاق السلطة وحدود الاختصاص لكل من متولي السيارتين. غير أن المرجح، بحسب القرائن التاريخية، أن هاتين الولايتين غالبًا ما كانت تُجمع في يد شخص واحد، يتولى إدارة كليهما ويُنيب عنه قادة محليين في كل من المنطقتين[٣].

ويُفهم من هذا أن السيارتين الشرقية والغربية قد تفرعتا داخليًا إلى سيارات أصغر، تغطي النواحي والكُوَر التي يشتمل عليها الحوفان. وهو ما تؤكده إشارة موهوب بن منصور حين قال: "***وكان ناصر الدولة ابن حمدان والي السيارتين الشرقية والغربية***[٤]."

ومما ينبغي الإشارة إليه أيضًا، أن ورود كلمة "السيارات" لدى كل من المسبحي والمقريزي قد يُوهم القارئ بوجود أكثر من سيارتين في تنظيم الوظيفة المشار إليها في الريف[٥]. غير أن الحقيقة أن مصطلح "السيارات" لم يكن يعني سوى تقسيمات إدارية

---

(١) عبد العال، الشامي: مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٥.؛ مدن مصر في العصر العربي: من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٣.

(٢) إبراهيم علي الدين السيد إبراهيم القلا: الحوف الغربي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، دراسة حضارية تحليلية مقارنة، جامعة بنها، كلية الآداب، ١٩٩٩، ص٢٩.

(٣) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٤) نفسه، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

فرعية أقل، تتدرج تحت إطار وظيفة "السيارة" في الريف. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في عبارات المسبحي والمقريزي، مثل قولهم: "وقُلِّد سيارات أسفل الأرض"، مما يشير إلى مستويات إدارية أقل ضمن تنظيم السيارة. [١]

ويعزز مصطلح "سيارات أسفل الأرض" هذا الترجيح، إذ يبدو أن وظيفة السيارة كانت تنقسم إلى تقسيمات عُليا وأخرى أقل، حسب طبيعة المناطق التي تخضع لها، وتتوافر بين يدي الباحث ثلاث وثائق من وثائق الجنيزا[٢]، **اثنتان منهما** مكتوبتان باللغة العربية، والثالثة بالجادو***(Judaeo-Arabic)***[٣]، تؤكد هذا الفهم، بل وتضيف إليه توضيحًا مهمًا، يتمثل في أن كل سيارة من "سيارات أسفل الأرض" لم تكن تتكوّن من عناصر عسكرية كالجنود والفرسان فقط، بل ضمّت أيضًا طاقمًا إداريًا ديوانيًا معنيًّا بتسجيل ما تصادره السيارة من ممتلكات، ورصد أعمالها المختلفة، بالإضافة إلى توثيق نفقاتها ومواردها.

ويؤكد ذلك ما ورد في إحدى الوثائق التي تمثل تقريرًا حكوميًا فاطميًا يفيد بأن أحد الموظفين في "السيارة الغربية" كان قد أصيب بالجنون عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م، ثم تُوفي لاحقًا، دون أن يتقاضى مستحقاته المالية.

نص الوثيقة[٤] :

(عبده ومملوكه

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزى: اتعاظ، مج٢.، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(2)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S 10J7.7), (T-S 6J7.1), (T-S K25.32).*

(٣) العربية المكتوبة بحروف عبرية.

(4)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S 10J7.7).*

المتوفي كان مستخدما في السيارة الغربية

وعاد وفل عنه في اغضان سنة خمس واربعمائة

وسقط بالوفاة ولم يقبض شيا من واجباته

[............] جملة والذى كان).

ويبقى أن نشير إلى أن وظيفة "السيارة" – وإن بدت مقتصرة على الريف المصري – فإن استخدامها لم يقتصر على مصر، بل امتد إلى الشام وفلسطين أيضًا. ويؤيد هذا ما ذكره كل من ابن القلانسي والمقريزي في حوادث سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م و٥٠٦هـ / ١١١٢م، بشأن اضطرابات عسقلان بقيادة متوليها المنشق شمس الخلافة أسد[١] ويشير

(١) شمس الخلافة أسد: أحد قادة الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ / ١١٠٢م – ٥٢٤هـ / ١١٣٠م). تشير المصادر إلى أن شمس الخلافة كان من أصحاب الإقطاعات في مصر، وقد ولاه الخليفة الآمر إمارة عسقلان، التي كانت آنذاك من الثغور المهمة التابعة للفاطميين. غير أن شمس الخلافة سرعان ما تمرّد على الدولة، إذ راسل "بلدوين الأول"، ملك الصليبيين في مملكة بيت المقدس، وهادنه سرًّا، بل أهدى إليه الأموال والهدايا، واعتمد عليه في تحصين موقفه ضد سلطة الفاطميين، ولذا امتنع عن تنفيذ أوامر الدولة الفاطمية، وأعلن العصيان منفردًا بحكم عسقلان بما يتوافق مع مصالحه وتحالفاته مع الفرنج. ويبدو أن أصوله الأرمنية، وهو ما يُفهم من استقدامه لجنود أرمن كوّن منهم حرسه الخاص، كانت عاملاً مؤثّرًا في ميله إلى التحالف مع الصليبيين، بل إن هذه العلاقة الوثيقة معهم قد تعزز الرأي القائل بأنه كان على المسيحية، كغيره من بعض قادة الأرمن الذين خدموا في الدولة الفاطمية في تلك الحقبة، على أية حال لما بلغ أمر تمرده الخليفة الآمر ووزيره الأفضل شاهنشاه، جهزا جيشًا بقيادة أحد كبار القادة، وأظهرا أن الجيش متوجه للغزو، بينما أوصياه سرًّا بالقبض على شمس الخلافة فور وصوله إلى عسقلان وتعيين أمير جديد مكانه، إلا أن شمس الخلافة علم بالأمر، فامتنع عن لقاء الجيش المصري، وأعلن عصيانه جهارًا، وطرد من عسقلان كل الجنود الموالين لمصر خوفًا من انقلابهم عليه. شعر الوزير الأفضل بخطورة الموقف، خاصة مع احتمال أن يسلم شمس الخلافة عسقلان للفرنج حلفائه، فسارع إلى استرضائه، ووعده بأن يزيد له فى إقطاعه الذى في

ابن القلانسي للحادثة بقوله[١]: "فبادر صاحب السيارة إلى البلد وملكه، وبعث برأس شمس الخلافة إلى الأفضل، فسر بذلك وأحسن إلى القادمين به"، بينما يشير المقريزي[٢]: "وانتهى الخبر إلى صاحب السيارة، فبادر إلى البلد، فأطاع أمره من به، وأنفذوا رأسه إلى الأفضل إلى مصر."

وتدل هذه الحادثة على أن وظيفة "صاحب السيارة" لم تكن قد اندثرت بالمجمل في العصر الفاطمي الثاني، كما ذهب بعض الدارسين[٣]، بل ظلت قائمة، وإن بدرجة من التراجع في المكانة والسلطة. ويبدو أن تقلص دور هذه الوظيفة يعود إلى صعود سلطة الوزير السيفي وتنامي نفوذ ولاة الشرقية والغربية[٤]، والذين كانوا يُعدّون من أعاظم رجال الدولة كما يؤكد القلقشندي[٥].

مصر، لكن أهالي عسقلان لم يطمئنوا إليه، لا سيما بعدما زاد من اعتماده على الجنود الأرمن واتخذهم حرسًا له. فاجتمع عليه بعض أعيان المدينة، وبمساعدة صاحب السيارة، فهاجموه وهو في موكبه وجرحوه، فلجأ إلى داره، فلاحقوه وقتلوه، ونهبوا داره وبعض بيوت الأغنياء بحجة التخلص من أتباعه، أُرسلت الأخبار إلى مصر، ففرح الخليفة الآمر ووزيره الأفضل بمقتله، وأكرما من حمل البشارة، ثم أرسلا والياً جديدًا إلى عسقلان معروفًا بحسن السيرة، فعاد الأمن إلى المدينة وزال الخطر. للمزيد عن ذلك انظر؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٥.؛ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, ط١, بيروت – لبنان, ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جـ٨، ص٥٨٣. ؛ المقريزي: اتعاظ، مج.٣، ص٤٨.

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٥.

(٢) المقريزي: اتعاظ، مج.٣، ص٤٨.

(٣) فؤاد سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، ص٣٢٨_٣٢٩.؛ جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٨٥.

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٨٥ .؛ جناحة: حكام الأقاليم، ص١٣٣. ؛ أميرة إبراهيم: ***الأوضاع الأداريه فى الدولتين الفاطمية والأيوبية" دراسة تاريخية مقارنة"***، رسالة دكتوراة غير منشور، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.ص١٠ وما بعدها

كما يُعزز هذا الرأي استمرار ورود ذكر "صاحب السيارة" في المصادر التي أرخت للعصر الفاطمي الثاني[١]، رغم عدم التصريح بأسماء من تقلدوا هذا المنصب، مما يدل على بقاء الوظيفة، وإن قل قدرها مقارنة بما كانت عليه في العصر الفاطمي الأول.

خامساً: وظيفة صاحب السيارة فيما بعد العصر الفاطمي.

لا شك في أن وظيفة "صاحب السيارة"، كما كان لها إرهاصات في عصور ما قبل الدولة الفاطمية[٢]، فإنها – رغم اندثار مسمّاها بعد العصر الفاطمي في مصر – قد استمرت من حيث المهام والمسؤوليات، وإن ظهرت بمسميات أخرى. وهذا الاستمرار لا يُعد مجرد افتراض أو استنتاج غير مستند إلى دلائل مصدرية، بل هو ما تؤكده بعض وثائق الجنيزا[٣]، حتى وإن لم تلتفت إليه المصادر التاريخية المدونة في العصر الأيوبي أو ما بعده، وقد نبه إلى ذلك عمدة مؤرخي مصر، المقريزي، في كتابه "الخطط"، حيث أشار إلى بقايا أثر هذه الوظيفة في التنظيم الإداري.

وإذا ما بدأنا بالإشارات الواردة في بعض وثائق الجينيزا؛ فهناك وثيقة[٤] ترجع للعصر الأيوبي، وبشكل دقيق في عهد السلطان الملك العزيز عثمان[٥] (٥٨٩هـ/١١٩٣م

---

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٥.؛ المقريزي: اتعاظ، مج.٣، ص٤٨.

(٢) البلوي: سيرة ابن طولون، ص١٨١.

(3)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; (T-S Ar.42.171).*

(4)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S Ar.42.171)*

(٥) هو ***السلطان الملك العزيز عثمان*** بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الابن الثاني لصلاح الدين، وخليفته في حكم مصر. وُصف بأنه كان فاضلاً، حليمًا، ذا سياسة ورأي. وُلد بالقاهرة سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وتولى حكم مصر بعد وفاة والده، وتُوفي شابًا سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م عن عمر ناهز ٢٨ عامًا، وذلك بعد أن سقط

ـ٥٩٥هـ/١١٩٨م) تتعرض إلى مهمة أُنيط بها أحد الأمراء العسكريين برتبة (إسفهسلار) [١] الذي كان حينها يحمله نائب السلطان العزيز القائد بهاء الدين قراقوش[٢]، حيث

من على فرسه أثناء إحدى رحلات الصيد في نواحي بلاد الفيوم، إذ كان شغوفًا برياضة الصيد. **للمزيد انظر**؛ المنذرى(زكى الدين بن عبد القوى ت٦٥٦هـ): ***التكملة لوفيات النقلة***، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص٤١٤.؛ ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين محمد بن أبى بكر ت٦٨١هـ): ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤١٤.؛ ابن واصل، جمال الدين يوسف بن محمد (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م): ***مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب***، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ج١، ص ٣٤٢.؛ ابن الفرات(محمد بن عبد الرحيم ت٨٠٧هـ): ***تاريـخ الدول والملوك***، تحقيق حسن الشماع، مطبعة جامعة بغداد، ط١، بغداد،١٩٦٧م، مج.٤، ج٢، ص١٤٤.؛ المقريزى(تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):***السلوك لمعرفة دول الملوك***، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٤،ج١، ج١، ق١، ص١١٤.؛ الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت٨٦١هـ): ***شفاء القلوب في مناقب بني أيوب*** ، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة، ط١، بغداد، ١٩٧٨م، ص٢٣١.

(١) ***الأسفهسلار***: (ويُلفظ أيضاً: اسباسلار، كما ورد عند القلقشندي، بسينين مهملتين بينهما فاء، ثم هاء)، أحد ألقاب أرباب السيوف في الدولة الفاطمية. وقد شغل هذا اللقب وظيفة رفيعة المستوى تلي مرتبة صاحب الباب، ويعني هذا اللقب "مقدّم العسكر"، وهو اسم مركب من لفظين: أولهما فارسي «أسفه» ويعني المقدّم، وثانيهما تركي «سلار» ويعني العسكر. وقد =عُرفت هذه الوظيفة ضمن النظام الإداري والعسكري في مصر منذ العصر الفاطمي، حيث كان صاحبها يتولى الإشراف الكامل على شؤون الأجناد، ويختص بالتحدث في أمورهم، إلى جانب إشرافه على الحُجّاب بمختلف مراتبهم، بالتنسيق مع صاحب الباب؛ وفي دولة المماليك، أصبح لقب الأسفهسلار مقصوراً على أمراء الطبلخاناه، غير أنه مع أواخر العصر المملوكي قلّ استعماله لهذا الغرض؛ ذلك أن العامة درجوا على تحريفه إلى «اسباسلار» وإطلاقه على بعض أعوان السلطان ممن يقفون ببابه، الأمر الذي أثار حفيظة أمراء الطبلخاناه، فزهدوا في استعماله، إمّا اعتراضاً على إشراك الأعوان في حمل هذا اللقب، أو لعدم إدراكهم لمعناه الأصلي؛ للمزيد انظر؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٨٣؛ جـ ٦، ص ٧–٨. ؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨.

(٢) ***بَهاءُ الدّينِ قَراقوش الصَّلاحِيُّ الأَسَدِيُّ***: بفتح القاف والراء، وبعد الألف قاف ثانية مضمومة، ثم واو، وبعدها شين مُعْجَمَة ساكنة، وهو لفظ تركي تفسيره بالعربية "العُقاب" الطائر المعروف. هذا عن ضبط اسمه ومعناه؛ أما عن قَراقوش نفسه: أبو سعيد قَراقوش بن عبد الله الأَسَدِيُّ، الملقب بَهاءُ الدِّين، كان خادماً لصلاح الدِّين، ومن

أُرسل إلى عمل منوف [١]، وهي من النواحي الواقعة ضمن إقليم أسفل الأرض، الذي كانت وظيفة "السيارة" تختص بإدارته خلال العصر الفاطمي[٢]. وقد كُلِّف هذا الأمير بتنفيذ مهمة إدارية وأمنية محددة، على ما يبدو أن والي الناحية ذاتها، قد عجز عن القيام بها، وهو ما يتقاطع – إلى حد كبير – مع المهام التي كان يؤديها صاحب السيارة أو أحد نوابه في الدولة الفاطمية، وفى حالة الدولة الأيوبية؛ نجد أن الأمير الواصل لمنوف، قد أُنفذَ من قبل الإسفهسلار بهاء الدين قراقوش؛ أما نص الوثيقة، فهو على النحو الآتي[٣].

- **بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حمد الشاكرين**
- **لما ورد امر المولا الطواشي الاسفه سلار الكبير بها الدين قراقوش المنصوري**
- **الافضلى بخط كريم متوجا بعلامته المشهورة على يد المير فارس الدولة**

قبله كان خادماً لأَسَدِ، لعم صلاح الدين القائد الدِّين شِيرْكُوه، ومنه عمل لقب الأسدي، وبعد موته انتقل لخدمة صلاح الدين، حتى لما استقل صلاحُ الدِّين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة في الديار المصرية، وفوَّض أمورها إليه، واعتمد في تدبير أحوالها عليه، وبعد موت صلاحِ الدِّين عمل في دولة أبنائه. حتى تُوُفِّيَ سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م. للمزيد انظر؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م): ***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية***، تحقيق إبراهيم الزبن، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ج٢، ص ١٨٥.؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٩١؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: ***الأعلام***، نشر دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٥، ص١٩٣.

(١) ***منوف***: أحد أشهر كور أسفل الأرض فى العصر الأسلامي، وكانت تتبع عمل المنوفيتين فى العصر الأيوبي وذلك بعد إجراء الروك الصلاحي فى عهد صلاح الدين. للمزيد انظر؛ ابن مماتي، الأسعد بن مهذب بن خطير (ت. ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): ***قوانين الدواوين***، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩١م، ص١٨٨.

(٢) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧. ؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.

(3)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S Ar.42.171)*

- عدى احد اصحابه المندوب يتضمن احضار الذهب المودع تحت يد زوجة
- غانم بن عيسى من اهل منوف العليا فوصل المندوب بتاريخ الثاني
- من ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وخمس ماية وحضر من ثبت خطه اخره من الشهود
- المعدلين بالناحية المذكورة وعبروا الى منزل غانم المذكور ففتحت زوجته
- الحائط واخرجت منها ذهبا عدده مائة وسبعين دينارا
- واعتبرت بالوزن فكان وزنها ماية احد وستين دينارا ونصف وربع
- فجعلت في كيس وختمت بالشمع وسلمت الى فارس الدولة عدى المذكور
- ليحضرها الى المجلس البهائى ان شا الله تعالى فـ[ ]
- اعلاه والحمد لله وحده ومن يتكل على الله فهو حـ[سبه]
- الشاهد الاول
- حضرت ذلك ونظرت
- وشهدت بما تضمنه
- وكتب عمار بن الحسن بن اسمعيل بن على
- الشاهد الثانى
- حضرت ذلك ونظرت
- وشهدت بما تضمنه
- وكتب ابو المعالى يوسف بن محمد صح
- الشاهد الثالث
- حضرت ذلك ونظرت وشهدت بما تضمنه
- [وكتب].

وبصرف النظر عن غرض هذه الحملة – أو "السيارة" إن صحّ هذا التوصيف – التي أنُفذت إلى منوف، فإن ما تضمنته الوثيقة من مهام يتطابق بوضوحٍ مع الوظائف التي عُرفت بها "السيارة" في العصر الفاطمي[١]. ويُعزّز هذا التطابق ما ذكره موهوب بن منصور في سياق سير البيعة المقدسة[٢]، مهام وأغراض هذه الوظيفة، ومع ما ذكره البلوي كذلك فى عهد أحمد بن طولون[٣].

أما المقريزي، فقد أشار إلى هذه الوظيفة إشارةً موجزة لكنها بالغة الأهمية، مؤكداً أن جذورها ضاربة في عمق البنية الإدارية المصرية[٤]، وأن تغيّر مسماها عبر العصور لم يغير من طبيعتها الجوهرية. وهذا ما أوره في خططه[٥]، واصفًا هذه الوظيفة بقوله: ***(أنه لم تزل العادة جارية من قديم الزمان في مصر بِخُرُوجِ أَحَدِ أَمَرَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى جِهَةِ أَعْلَى الأرض – التي يُقال لها بلاد الصعيد – وخُرُوجِ آخَرَ إلى أَسْفَلِ الأَرْضِ حيث البلاد البحرية والوجه البحري ، لتأمين السابلة وتتبع أهْلِ الدَّعَارَة والفَسَادِ من قطاع الطريق والبطش بهم ، وكان يُقالُ لذلك : صَاحِبُ السَّيَّارَة ، ثم قيل له في الدولة التركية: الكاشِفُ) [٦].***

وهذه الإشارة الدقيقة من المقريزي لا تبرز عن وعيه الفائق بتطور المؤسسات فى النظم الإدارية للدول المتتابعة في مصر فحسب[٧]، بل الأهم أنها تؤكد أن وظيفة

---

(١) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧. ؛ المقريزى: اتعاظ، مج.٢، ص ١٧٠/ ص١٧٣/ ص١٩٧-١٩٨.
(٢) موهوب بن منصور: سير البيعة المقدسة، ص ٧٣٣/ص٧٣٦.
(٣) البلوي: سيرة ابن طولون، ص١٨١.
(٤) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.
(٥) نفسه، مج.٤، ص١٠٨٧.
(٦) المقريزى: الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.
(٧) نفسه، مج.٤، ص١٠٨٧.

صاحب السيارة استمرت من حيث المهام، وإن تغير مسماها، لا سيما مع انتقال السلطة من الفاطميين إلى الأيوبيين ثم المماليكي، والراجح أن التحول فى المسمى بدأ منذ العصر الفاطمي الثاني ذاته[١].

يعزّز هذا الطرح ما جاء في إحدى وثائق الجنيزا التي تعود إلى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[٢]، وهي عبارة عن شكوى وجّهها أحد الرعية إلى الخليفة، يطلب فيها استرداد حق ابنه المقتول على يد رئيس مركب ومعاونَيه[٣]، والذين استولوا على الأموال التي كانت بحوزة الضحية ورفيقه. وفي التماسه هذا، يرجو المشتكي من الخليفة أن يوجّه أميرًا من قبله وذلك لـ"كشف" الحقيقة والاقتصاص من الجناة على حد قول الشاكي[٤]، وهو تقريبا نفس مهام بصاحب السيارة[٥]، ولكن بمسمى جديد هو "الكاشف".

- ونص الوثيقة كما ورد:

- **بسم الله الرحمن الرحيم**

- **صلوات الله وبركاته ونوامي زكواته وأفضل تحياته على مولانا وسيدنا الأمام المستنصر بالله**

---

(1)*Cambridge University Library, <u>Cairo Genizah Collection</u>, Legal document; list (T-S Ar.42.158).*

(2) *op. cit, (T-S Ar.42.158).*

(3) *op. cit, (T-S Ar.42.158).*

(4) *op. cit, (T-S Ar.42.158).*

(٥) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤.؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

- أمير المرمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، عبد مولانا صلوات الله عليه مستجير بالله
- تعالى ذكره وبعدل الدولة النبوية وذلك أن كان له ولد رجل عمره نيف وعشرين سنة سافر
- من سرسنا في سميرية هو ورجل تاجر معه شاب أيضا عمره نيف وعشرين سنة أيضا
- وفى وسطهما مال عين قدره خمسماية دينارا وبضاعة معه قدرها ماية ثلاث وخمسين.
- يطلبوا بلد فوه ليدخلا إلي الاسكندرية فغدرر بهما ريس السميرية والنواتية
- التي فيها وقتلا الشابين الرجلين المذكورين واخذوا ما كان معهم
- من المكال والبضاعة[١] وعبد مولانا صلى الله عليه يستجير بالله تعالى ذكره
- وبعدل الدولة النبوية ثبت الله أركانها يسل التوقيع إلي
- خلف الأمير [الموفق سنان الدولة[٢]] بالقبض على هؤلاء النواتية ورئيس السميرية وكشف.
- هذا الحال كشف يعلم منه صحة ما ذكره العبد ولمولانا صلى الله عليه، عالي الرأي إن شاء الله

---

(١)كتبت فوق السطر

(٢) كتبت فوق السطر

ويُلاحظ من مضمون هذه الوثيقة، مدى تطابق المهام المنوطة بصاحب السيارة مع تلك التي اضطلع بها الكاشف(١)، ما يجعل هذه الوثيقة من أوائل النصوص التي يُشار فيها إلى مصطلح "الكشف" و"الكشوفية" بوصفه اصطلاحًا رسميًا في السياق الإداري–الأمني للدولة الإسلامية في مصر (٢). وعليه، يمكن ترجيح أن مسمى "الكاشف" بدأ في الظهور مع تراجع دور صاحب السيارة وتضاؤل تأثيره في أواخر العصر الفاطمي، ليتحوّل إلى مصطلح إداري جديد استمر في التطور خلال العصر الأيوبي، وبلغ ذروته واستقراره البنيوي والوظيفي في العصر المملوكي (٣)، واستمر حضوره حتى عصر الدولة العلوية في مصر الحديثة(٤).

---

(١) المُسبحي: أخبار مصر، ص٢٠/ ص٥٠.؛ المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص١٤٠/ ص١٥٢_١٥٤. ؛ المقفى الكبير، جـ٣، ص٣١٧_٣١٨. ؛ الخطط، مج.٤، ص١٠٨٧.

(2)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S Ar.42.158).*

(٣) من عِظَم مكانة وأهمية وظيفة الكشف في العصر المملوكي، يُلاحظ أنه قد أُفرد لمتوليها دون غيره من أصحاب الوظائف الأخرى كتبٌ تأليفية خاصة، فهذا خليل بن شاهين الظاهري المصري (ت: ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) يفرد لذلك مؤلفه «زُبدة كشف الممالك لبيان الطرق والمسالك»، وهو في ذلك – أي «الزبدة» – مختصر لموسوعة ضخمة هي «كشف الممالك»، التي من المؤسف أنها لم تصل إلينا، حيث أنها في حكم الضائعة. للمزيد انظر؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت. ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م): ***زُبدة كشف الممالك لبيان الطرق والمسالك***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مصر : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، سلسلة نصوص عربية، ٢٠٢٤م، جـ١. المقدمة .؛ سيد خليل محمد علي: كشاف الجسور في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي [٥٦٧ – ٩٢٣هـ / ١١٧١ – ١٥١٧م]، مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي، ع ٥٦، يوليو ٢٠٢٢. ص٦١٩.

(٤) للمزيد عن ذلك انظر؛ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٨١؛ ص٤٤٩.

وخلاصة القول، إن وظيفة صاحب السيارة لم تكن طارئة على العصر الفاطمي، بل سبقتها إرهاصات في العصور السابقة، حيث ارتبطت بفرض الأمن والانضباط في أقاليم الريف بأسفل الأرض، وبلغت في العصر الفاطمي الأول ذروة أهميتها بوصفها وظيفة أمنية وعسكرية محورية. ومع بدايات العصر الفاطمي وصولاً لنهايته، اختفى مسمى السيارة تدريجيًا، ليحلّ محله مسمى الكشف، الذي تطور لاحقًا إلى إحدى أهم وأرفع الوظائف العسكرية والإدارية في العصرين الأيوبي والمملوكي.

الخاتمة

<u>خلص هذا البحث إلى عدد من النتائج المهمة التي تسلط الضوء على مكانة وظيفة "صاحب السيارة" في الدولة الفاطمية، وذلك على النحو الآتي:</u>

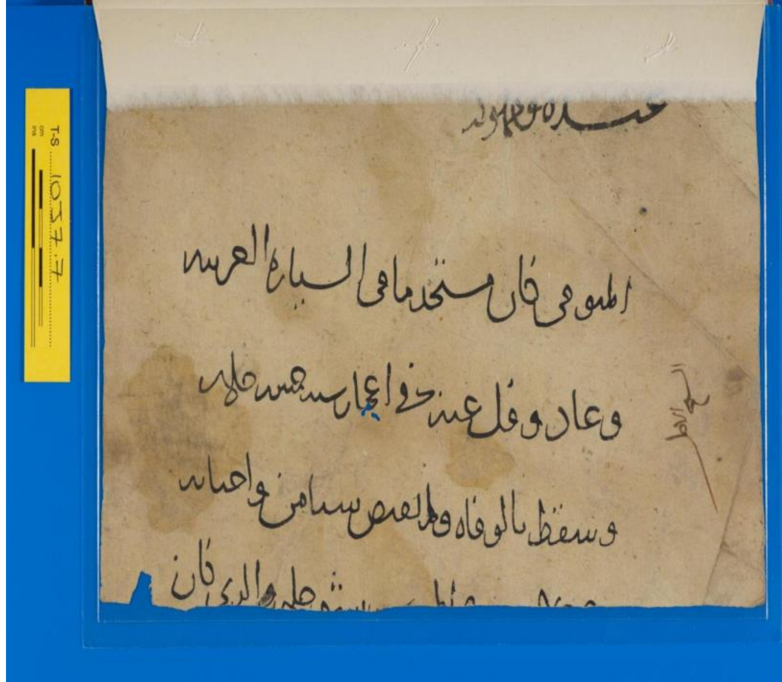
- تُعد وظيفة صاحب السيارة من أبرز الوظائف العسكرية في العصر الفاطمي، لا سيما في طوره الأول، رغم محدودية الإشارات إليها في المصادر المدونة والدراسات الحديثة.
- تبيّن أن لهذه الوظيفة جذورًا وإرهاصات مبكرة في مصر منذ عصر الولاة، كما تأثرت ببعض الملامح المغربية في الطور الفاطمي المبكر.
- تمثلت أبرز مهام هذه الوظيفة في حماية قرى ومدن وكور "أسفل الأرض" (أي ريف الدلتا) من الخارجين عن النظام والمسببين للاضطرابات.
- كان متولي وظيفة السيارة من كبار قادة الدولة العسكريين، وفي بعض الأحيان تُضاف إليه الولاية كنوع من التكريم والتعظيم، خاصة إذا كان من رجال البلاط أو الوزراء.
- اتخذ أصحاب هذه الوظيفة ألقابًا تدل على رفعة منصبهم وسعة نفوذهم، كما عرفوا بكثرة أعمالهم في البر والخير، وتولوا في بعض الفترات قيادة قوافل الحج الفاطمية.

- اقتُصرت هذه الوظيفة على منطقة "أسفل الأرض" دون الصعيد، فعلى الرغم من أن المقريزي أشار إلى وجود أمير مختص بأمن الصعيد، إلا أنه في مؤلفاته قاطبة لم يطلق عليه قط لقب "صاحب السيارة"، بل اقتصر على تسميته بـ"أمير الصعيد". أما "صاحب السيارة" فكانت ولايته محصورة في "أسفل الأرض"، وقد قُسّمت ولايته إلى قسمين رئيسيين: شرقية وغربية، وتفرع كل منهما إلى ولايات صغرى.
- اشتمل التنظيم الإداري للسيارة على عدد من الموظفين الإداريين من الكُتّاب والمشارفين والمستخدمين، ما يعكس طابعها الإداري والعسكري المركب.
- لم تقتصر هذه الوظيفة على مصر، بل نقلها الفاطميون إلى ممتلكاتهم في الشام، وبرز ذلك بوضوح في عسقلان.
- تُظهر الشواهد التاريخية أن وظيفة صاحب السيارة استمرت بأشكال مختلفة في العصور التالية، خاصة في العهدين الأيوبي والمملوكي، حيث أشار المقريزي_بشكل صريح_ إلى أن وظيفة "الكاشف" في عصره، ما هي إلا الامتداد الطبيعي لوظيفة صاحب السيارة في العصور السابقة.

الملاحق

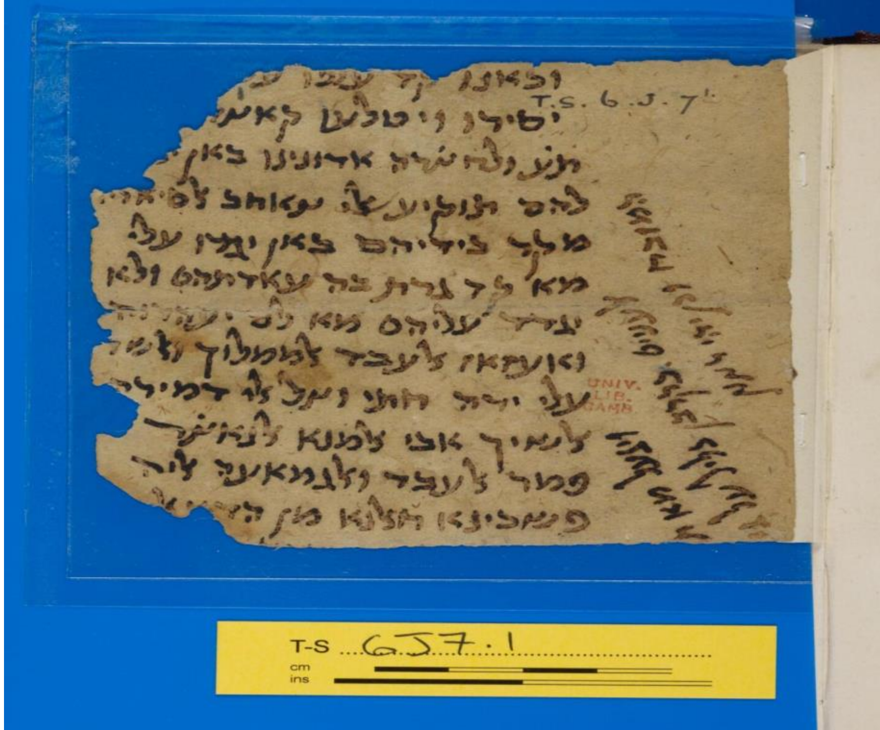
الملحق(١) [1]

"قصاصة من أوراق الجنيزا تتضمن مطالبة بصرف راتب لأحد أفراد "السيارة الغربية".



[1] *Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list T-S 10J7).*
Geoffrey Khan, Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections (Cambridge: Cambridge University Press, 1993). Pp32.
سبق قراءة الوثيقة بالبحث

الملحق(٢) (١) "قصاصة من أوراق الجنيزا تتضمن محاولة الحصول على توقيع صاحب السيارة، ولعل التوقيع خاص بإقرار بميزة خصت بعض التجار والمزارعين.



<u>كُتبت الوثيقة بخط الجاود عربي(Judaeo–Arabic)، وتقرأ على النحو التالي:</u>

- وكنا قد عولوا....
- يسيرو ويطلعو قاصدين الله
- تعالى ولحضرة سيدنا بأن...
- لهم توقيع على صاحب السيارة
- مقر بيدهم بأن يجرو على
- ما قد جرت به عادتهم ولا
- يجدد عليهم ما لا يعهدوه

[1] Cambridge University Library, <u>Cairo Genizah Collection</u>, Legal document; list T-S Ar.13.16 . Editor: Elbaum, Alan, Alan Elbaum's digital edition (2023).

الملحق(٣) [١]"قصاصة من أوراق الجنيزا تتضمن طلب لصاحب السيارة للبحث عن قاتل شخص يسمى سيمون العبد.

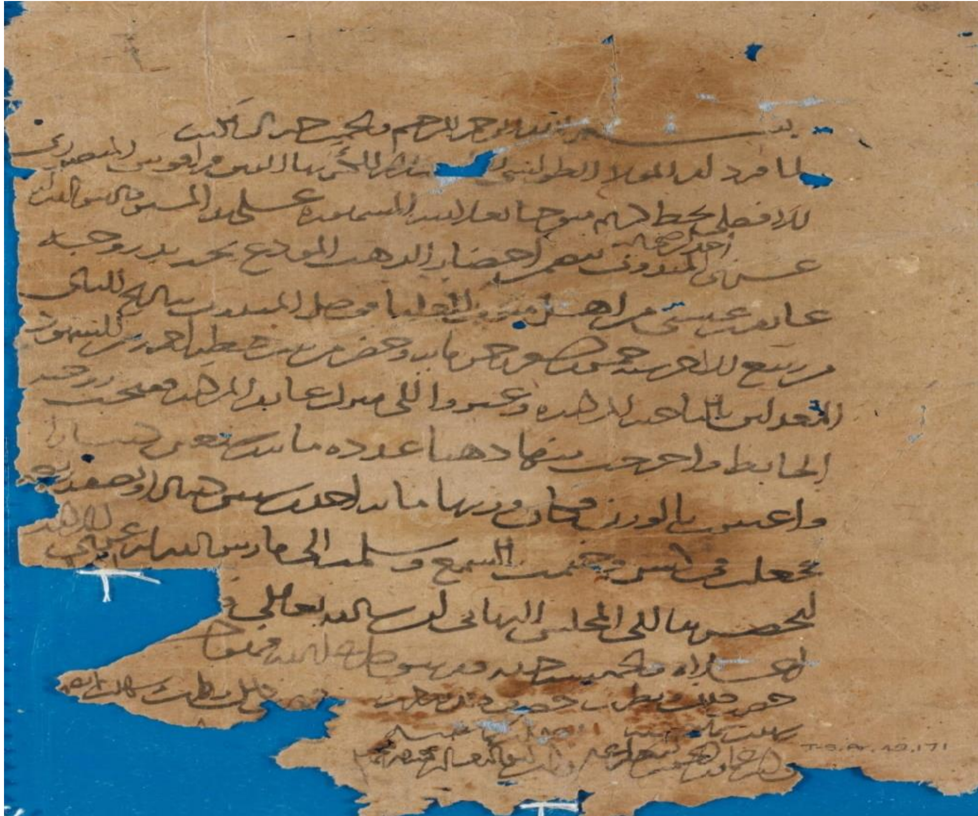
نصها:

- **[بابن عتيق الفكاة انه اتا في اليل الى دار**
- **سميون العبد متولي السيارة وهو على حاله وسميون غائب فشتمه**
- **وشتم غيره لمن ذكر[]لقدر صاحب عنده انه ذكر]**
- **من قتل سميون فادبه(؟)[**
- **فيسل[[ا]] فيه العامل]**
- **الخيار وقسمه باليمين الع]**
- **باقية فسال العامل فيه ا]**

([1])***Cambridge University Library, <u>Cairo Genizah Collection</u>, Legal document; list T-S Ar.13.16 . Editor: Alan Elbaum and Yusuf Umrethwala's digital edition (2024).***

قدم آلان ألبم وجوزيف مريثوال قراءتهما لهذه القصاصة ولم ينشرها فى الموقع.

الملحق(٤) [١]"قصاصة من أوراق الجنيزا تتضمن طلب للاسفهسلار" قراقوش الأسدي" بتوجيه قائد من ناحيته لمنطقة منوف من أسفل الأرض لاستلام كنز عصر عليه.



(1)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; MS-TS-AR-00042-00171*

سبق قراءة الوثيقة داخل البحث

الملحق(٥) [١]

"قصاصة من أوراق الجنيزا تتضمن إرسال أمير من قبل الخليفة المستنصر لكشف جريمة قتل وسرقة بالإكراه بنواحي رشيد.

(¹)*Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; MS-TS-AR-00042-00158*

سبق قراءة الوثيقة بالبحث

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الوثائق:

1. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S 10J7.7)
2. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S 6J7.1)الصحاح
3. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S Ar.13.16). Editor: Alan Elbaum and Yusuf Umrethwala's digital edition (2024)
4. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S Ar.42.158)
5. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; list (T-S K25.32)
6. Cambridge University Library, Cairo Genizah Collection, Legal document; MS-TS-AR-00042-00171

٧. عهدة الخليفة الحاكم بأمر الله وغيرها من العهود التي منحت لنصارى دير سانت كاترين، نشرها أحمد رمضان، حولية هيئة الآثار المصرية (البحوث والوثائق الإسلامية)، القاهرة، ١٩٨٦م

ثانيًا: المصادر:

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)

- *الكامل في التاريخ*، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

- *المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الجيل/دار عمان، ط١، بيروت/عمان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.*

٣. الإسكندراني، موهوب بن منصور (تنهاية القرن الخامس الهجري(

- *سير البيعة المقدسة، تحقيق شريف رمزي، كريست برنت، ط١، القاهرة، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م.*

٤. الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

- *المسالك والممالك، دار صادر (عن نشرة ليدن)، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.*

٥. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت٤٥٨هـ/١٠٦٧م)

- *صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.*

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)

- *صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٥، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.*

٧. البِلَوي، أبو محمد عبد الله بن محمد (تمنتصف القرن الرابع الهجري(

- *سيرة ابن طولون، تحقيق محمد كرد علي، دار الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، د.ت.*

٨. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)

- *تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، د.ت.*

٩. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)

- *سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.*

١٠. الجوذري بن عبدالله (تبعد ٣٨٦هـ/٩٩٦م)

- *سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.*

١١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)

- *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.*

١٢. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)

- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.*

١٣. الحامدي الهمداني، حاتم بن إبراهيم (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)

- *تحفة القلوب وفرجة المكروب، تحقيق عباس همداني، دار الساقي، ط١، لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.*

١٤. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م)

- *شفاء القلوب في مناقب بني أيوب*، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة، ط١ ، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٥. ابن حيون المغربي، أبو حنيفة النعمان (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م)

- *المجالس والمسايرات*، تحقيق إبراهيم شبوح، دار المنتظر، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- *دعائم الإسلام*، تحقيق آصف فيضي، دار المعارف، ط١، تونس، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

- *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر*، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٧. ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

- *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٨. الداعي اليماني، علي بن الوليد (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)

- *تاج العقائد ومعدن الفوائد*، تحقيق عارف تامر، مؤسسة عزالدين، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٩. أبو داود البصري، سليمان بن داود (ت٢٠٤هـ/٨٢٠م)

- *مسند أبي داود، تحقيق محمد عبد المحسن، دار هجر، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.*

٢٠. ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م):

- *رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري في عهد الخليفتين المأمون والمعتصم، جمعها وحققها وعلّق حواشيها: تيسير خلف، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.*

٢١. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٩م)

- *المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، ط١، دمشق/بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.*

٢٢. الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

- *تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.*

٢٣. الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)

- *أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.*

٢٤. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

- *النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، دار الكتب، ط١، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.*

٢٥. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

- *المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.*

- *المخصص، تحقيق خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.*

٢٦. الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨٢٠م)

- *اختلاف الحديث، تحقيق محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.*

٢٧. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)

- *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزين، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.*

٢٨. ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)

- *زبدة كشف الممالك لبيان الطرق والمسالك، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م.*

٢٩. ابن الصيرفي، أمين الدولة علي بن منجب (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)

- *القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.*

٣٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)

- *تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.*

٣١. ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)

- *نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار فرانتس ستاينر، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.*

٣٢. ابن ظافر الأزدي، جمال الدين علي بن ظافر (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)

- *أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق آندريه فريه، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.*

٣٣. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٦م)

- *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.*

٣٤. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)

- *فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٧٩م.*

٣٥. ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)

- *مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.*

- *مجمل اللغة، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.*

٣٦. الفراء، محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

- *الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.*

٣٧. ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

- *تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن الشماع، مطبعة جامعة بغداد، ط١، بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.*

٣٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/٧٨٦م)

- *كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهلال، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.*

٣٩. القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)

- *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الأميرية، ط١، مصر، ١٣٢٣هـ/١٩٠٣م.*

٤٠. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)

- *ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.*

٤١. القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

- *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.*
- *ترتيب مملكة الفاطميين في مصر، تحقيق ماريوس كالنار، الجزائر، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.*

٤٢. ابن المأمون البطائحي، جمال الدين علي بن موسى (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)

- *نصوص من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.*

٤٣. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

- *الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.*

٤٤. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

- *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، دار الكتب، ط١، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.*

٤٥. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)

- *تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.*

٤٦. المُسبحي، عز الملك محمد بن عبيد الله (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)

- *الجزء الأربعون من تاريخ مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.*

٤٧. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)

- *المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، ط١، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.*
- *السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.*

- *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا*، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار الكتب القومية، ط١، القاهرة، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦م.

٤٨. ابن مماتي، الأسعد بن مهذب (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

- *قوانين الدواوين*، تحقيق عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٤٩. المنذري، زكي الدين بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

- *التكملة لوفيات النقلة*، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٠. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)

- *لسان العرب*، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥١. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)

- *المنتقى من أخبار مصر*، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ط١، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٢. النووي، أبو زكريا محيي الدين (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)

- *المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، دار إحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٣. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)

- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، دار الكتب القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٥٤. ابن هشام الحميري، عبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)

- *التيجان في ملوك حمير، تحقيق مركز الدراسات اليمنية، ط١، صنعاء، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.*

٥٥. ابن واصل، جمال الدين يوسف بن محمد (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

- *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.*

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

١. إبراهيم محمد أبو سكين: دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة (تأنيث المذكر)، نشرة خاصة بالمؤلف

٢. أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية "أسباب ونتائج"، دار التضامن، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣. أحمد مختار عمر وآخرون: معجم الصواب اللغوي "دليل المثقف العربي"، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤. أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م

٥. أيمن فؤاد سيد: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر "تفسير جديد"، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

٦. أيمن فؤاد سيد: تاريخ الدولة الفاطمية في مصر "تفسير جديد"، مكتبة الأسرة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م

٧. حاتم المحاميد: التطورات في نظم الحكم والإدارة في مصر الفاطمية، مطبعة أسيل، ط١، القدس، ٢٠٠١م

٨. حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأحوالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م

٩. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، دار النهضة، ١٩٥٨م

١٠. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٨٩م

١١. حسن حافظ: الدعوة الإسماعيلية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٢٢م

١٢. حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م

١٣. رحاب جناحة: حكام الأقاليم في مصر في عصر الخلفاء الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م

١٤. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م

١٥. سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م

١٦. عبد الحميد حسين حمودة: الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م

١٧. عبد العال عبد المنعم الشامي: مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، الجمعية الجغرافية الكويتية، ط١، الكويت، ١٩٨١م

١٨. عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم، مكتبة الإنجلو، ط٣، القاهرة، ١٩٨٥م
١٩. عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م
٢٠. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية في المغرب "التاريخ السياسي والمؤسسات"، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامية، ط١، بيروت، ١٩٩٤م
٢١. فرهاد دفترى: الإسماعيليون "تاريخهم وعقائدهم"، دار الساقي بالمشاركة مع المعهد الإسماعيلي بلندن، ط١، بيروت، ٢٠١٢م
٢٢. فرهاد دفترى: معجم تاريخ الإسماعيلية، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي بالمشاركة مع المعهد الإسماعيلي، ط١، بيروت، ٢٠١٦م
٢٣. علي حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢٤. مارك كوهين: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة نسرين مرار وآخر، مكتبة لقاء، ط١، فلسطين المحتلة، ١٩٨٧م.
٢٥. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م
٢٦. محمد بركات البيلي: الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م
٢٧. محمد حسن العيدروس: حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م
٢٨. محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية "الفاطميون"، الأهلية للنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١م

٢٩. محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية "تاريخها . نظمها . عقائدها"، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م

٣٠. محمد محمود علي أبو زيد: الريف المصري في العصر الإسلامي: دراسة اقتصادية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، ط١، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٨م

٣١. محمود فاخوري وصلاح الدين خوام: موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م

٣٢. معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة، ١٤٠٩/١٩٨٨م

٣٣. هوبكنز، ج.ف.ب.: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ط١، ليبيا–تونس، ١٩٨٠م

رابعًا: الرسائل العربية:

١. إبراهيم علي الدين السيد إبراهيم القلا: الحوف الغربي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، دراسة حضارية تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراة، جامعة بنها، كلية الآداب، ١٩٩٩

٢. أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.

٣. أميرة إبراهيم: الأوضاع الإدارية في الدولتين الفاطمية والأيوبية "دراسة تاريخية مقارنة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م

٤. حنان إسماعيل محمد صالح البارودي: "الجغرافيا التاريخية لغرب دلتا النيل في مصر في العصور الوسطى (من القرن الأول إلى العاشر الهجري)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م

٥. عبد العال عبد المنعم الشامي: مدن مصر في العصر العربي: من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م

٦. عبد العال عبد المنعم الشامي: مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م

٧. عبير إبراهيم حطب: الروك في صر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٠م

٨. علاء الدين عبد الخالق: الأطلس التاريخي لأسفل الأرض للأمير عمر طوسون – دراسة كارتوغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ١٩٩٤م

خامسًا: الأبحاث والمقالات:

١. أيمن فؤاد سيد: تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين، مجلة حوليات إسلامية، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ع٢٤، القاهرة، ١٩٨٨م

٢. سيد خليل محمد علي: كشاف الجسور في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي [٥٦٧ – ٩٢٣هـ / ١١٧١ – ١٥١٧م]، مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي، ع ٥٦، يوليو ٢٠٢٢

٣. محمد أحمد أحمد إبراهيم: "رحلة الحج في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨–٥٦٧هـ / ٩٦٩–١١٧١م)"، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ع. ٥١

٤. محمد حسين محاسنة؛ محمد سالم الطراونة: "الألقاب الفاطمية"، مجلة دراسات – الأردن: العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. ٣٠، 1424هـ / ٢٠٠٣م.

٥. سلام شافعي محمود: مدن وقرى القليوبية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي: دراسة في التطور الإداري والنشاط الاقتصادي، مجلة الآداب، جامعة المنصورة، ع٢٦، جـ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

سادسًا: الكتب والمراجع الأجنبية:

1. Canard, M.: La Procession du Nouvel An chez les Fatimides, AIEOX, 1952
2. Canard, M.: Le cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin, Essai de comparaison, Byzantion, XXI, 1951
3. Geoffrey Khan: Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge University Press, 1993
4. Inostrantsev, K. A.: Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Kalilov ، Zap. Vost. Otdyel. Imp. Russ. Arkheol. Obshcestva ،XVII ،St Petersburg١٩٠٥ ،
5. Ivanow, Wladimir: Ismaili Literature: A Bibliographical Survey ،Tehran University Press٢ ،nd ed. ،Tehran
6. Sanders, P.: The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt, Ph.D. Dissertation, University of Princeton, 1984
7. Sumaiya A. Hamdani: Between Revolution and State: The Path to Fatimid Statehood: Qadi Al-Nu'man and the Construction of Fatimid Legitimacy, I.B. Tauris in association with The Institute of Ismaili Studies, 1st ed., London, 2006

Sahib Alsayaara" in Egypt during Fatimids Era (358-567H/969-1171AD) A historical-constructive study

Abstract:

This study aims to examine the office of Sahib al-Sayara in Egypt during the Fatimid period from a structural perspective, based on scattered references found in historical sources and documents. The research begins by investigating the linguistic and historical roots of this official title, while testing the validity of the hypothesis that it may have existed in Islamic administrative institutions prior to the Fatimid era.

The study further explores the nature of the duties and authorities associated with this important military position, analyzing the factors that contributed to its emergence within the administrative framework of the Fatimid state. It also presents historical evidence indicating early precedents of this office during the Tulunid period, albeit under different designations, and traces its evolution and the continuity of its core functions throughout the Ayyubid and Mamluk periods, despite changes in nomenclature.

Through analyzing texts from documents and historical sources, the research outlines the administrative subdivisions of this office and explains its geographically limited presence in the cities and villages of the Nile Delta, known at the time as Asfal al-Ard ("Lower Egypt"). The study concludes that this office held a prominent military rank during the Fatimid era, ranking third in importance after the positions of army commander and vizier.

The research also demonstrates the continuity of the office's main functions beyond the fall of the Fatimid state, albeit under new titles, as confirmed by al-Maqrizi, who noted the persistence of the office and its roles in his own time. These findings highlight the depth of the Fatimid state's administrative and military organization, as well as the lasting influence of its institutions in subsequent periods, despite political changes.

Keywords: Sahib Alsayaara - Fatimid Caliphate - administrative systems - Egypt - Nile Delta